الرسالة

مجلة أدبية تعبر عن العروبة والفكر العربي المعاصر

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون : ٤٢٧٩٤
٥٣٩٤٠

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج . ع . م .
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١٠٩٢ - الخميس ١٣ شعبان ١٣٨٤ هـ - ١٧ ديسمبر ١٩٦٤ م - السنة الثانية والعشرون

الفلاح في القصة

بقلم : عباس خضر

كان نصيب الفلاح وتصوير شقائه من فن القصة أكثر من نصيبه من الشعر فى حياتنا الأدبية الحديثة او فى الفترة الأولى منها على الأقل ، فبينما نراه لا يظفر من الشعراء فى تلك الفترة حتى سنة ١٩٣٠ الا بنزر يسير من الاهتمام حسب ما حدثنا الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى مقاله بالرسالة (العدد ٦٨) اذ نرى كتاب القصة يتناولونه بشكل أوسع وأعمق ، مع أن فن القصة عندنا كان لا يزال فى المهد صبيا ، وفن الشعر عريق فى أدبنا ومتطور فى الحديث **وهذا يرجع الى أن القصة أقدر من الشعر على تصوير الواقع وتناول مشكلاته ، على أن الشعر له مجالاته الجمالية والشعورية الأخرى التى يبز فيها القصة عند عشاقه ، فلا يغضب اخوتنا الشعراء ..**

***

ولنعد الى الموضوع ، يقول الأستاذ محمد عبدالغنى حسن :

« لعل تصوير شقاء الفلاح وكدحه وحرمانه من ثمرات ما يكدح فيه ، وتحكم ملاك الأرض فى رزقه ورزق أولاده ، ورضاه باليسير من الرزق ، والبلغة من العيش ، وصبره على الهوان الذى ضرب عليه وقدر له — هو من آثار الوعى الاجتماعى النابض فى أوائل القرن الذى نعيش فيه ، فما رأينا فى القرن التاسع عشر ولا القرون التى مضت قبله اهتمام الأدب والشعر بهذه الصورة الانسانية التى تستحق كل اشفاق » .

والواقع أنه كان هناك — فى القرن التاسع عشر — بعض اهتمام من جانب القصة أو من جانب النثر بتعبير أقرب الى الدقة ، فهذا الذى سنذكره كتب دون قصد الى احداث فن قصصى وان جاء فى شكل أقصوصة :

كان ذلك فى سنة ١٨٨١ بالتحديد ، كتبه « **عبدالله نديم** » فى صحيفته « **التنكيت والتبكيت** » . وهو يتمثل فى عدة أقاصيص ، منها أقصوصة « **عربى تفرنج** » تناول فيها فلاحا أرسل ولده الى أوربا لكى يتعلم فيها ، ثم جاء الولد متنكرا لأبيه ووطنه وقيمه ومترفعا على أهله ومواطنيه ، ولعل النديم أول من تناول هذا الموضوع ، ومن أقاصيصه تلك أقصوصة « **الفلاح والمرابى** » وهى تصور استغلال التاجر

المرابى « الخواجة » للفلاح المصرى وحاجته الى الضرورى من المال ، وهذه الأقصوصة تتفق فى موضوعها وهدفها مع القطعة الشعرية التى قال الاستاذ عبد الغنى حسن انها كانت « من الأصوات الشعرية الأولى فى تنبيه الفلاح وتحذيره من المستغلين والمرابين» وهى لمصطفى صادق الرافعى ، قالها سنة ١٩٠٨ ، منها قوله :

يا صاحب الغيط احذر العذابا
من الربا والفقر والخرابا
ان الربا ليس لنا مباحا
هيا الى غيطك سقها : صباحا ..
اياك أن تذكر لى الخواجا
فقد رأيت جارنا الحتاجا
راح اليه ماله وماجا
وباع حتى البط والدجاجا

فاذا جئنا الى أوائل كتابة القصص بطريقة فنية متكاملة ،وجدنا رواية بأكملها عن الفلاح المصرى تظهر سنة ١٩١٢ لمحمد حسين هيكل هى « زينب » وان لم يظهر اسمه عليها فى الطبعة الأولى مكتفيا بأنها لمصرى فلاح، وهى وان كانت قصة حب رومانسى بين فتى وفتاة من الريف الا أنها تصور شقاء الفلاح وحرمانه تصويرا واقعيا ، **نرى فى أول لوحة منها صورة أسرة « زينب » الكادحة وهى تستيقظ فى الفجر ، حين قامت زينب « فاوقدت نارا ولدنت فوقها رغيفا لكل منهم (من أهلها) ولم تنس أباها وامها ، دخل أبوها راجعا من الجامع وقد قرأ الورد وصلى الفجر ، وما كاد يتخطى عتبة الدار حتى نادى: يا محمد • وساله ان كان قد استيقظ بعد وان كان قد أعد عمله • جلست العائلة جميعا حول المشنة وأكل كل منهم رغيفه بحصوة ملح ، ثم قام الرجل وابنه الى عملهما » •**

واذا كانت حركة تصوير بؤس الفلاح فى الشعر الحديث لم تتميز الا بعد عام ١٩٣٠ كما أوضح الأستاذ عبد الغنى حسن معقبا بقوله : « فقد مرت السنوات بعد الحرب العالمية الاولى ولم يرتفع صوت بالشكوى من سوء حال الفلاح » •

اذا كان ذلك بالنسبة للشعر فان القصة، والقصة الواقعية بالذات ، كانت أول واحدة منها ـ عقب الحرب العالمية الأولى ـ عن الفلاح وهى قصة « فى القطار » لمحمد تيمور ، نشرت فى جريدة « السفور » سنة ١٩١٧ ، **تناولت معاملة الاقطاعيين والحكام للفلاح ، التى كانت تقوم على أخذه بالكرباج وانه لا يصلح الا بهذا ، والقصة تثور على ذلك وترى بطريقتها الفنية فساد تلك النظرة ، وتدعو الى تعليمه وترقيته •**

ثم تتسع الحركة، حركة تصوير الفلاح فى القصص، فنرى قصة قصيرة منشورة فى مجلة « لفتاة الشرق » للدكتور « منصور فهمى » بعنوان « ابن الحاج نصر » ترسم لنا شخصية من شخصيات الريف ، تبدا القصة هكذا :

« أنا ذا ابن الحاج نصر ، الله .. الله .. ما الذى حل فى الدنيا ؟ »

وفى هذا البدء نجد مثالا رائعا للتعبير الفصيح القريب بل الممتزج بالواقع ، فهكذا يتكلم أهلنا فى الريف ..

وقد نشر الدكتور منصور فهمى قبل هذه القصة بثلاثة أشهر قصة أخرى فى المجلة نفسها • ولم نر له بعدهما قصصا أخرى ، فقد عدل عن كتابة القصص وانصرف الى نواح أخرى من النشاط الثقافى وأعمال الوظائف التى تولاها • **واليقين أن هذه الباكورة كانت ـ لولا ذلك ـ ستفضى الى ثمرات أنضج، وكنا كسبنا كاتبا من كتاب القصة البارزين •**

❋ ❋ ❋

ثم نرى فى مجموعة « احسان هانم » لعيسى عبيد التى نشرت طبعتها الأولى سنة ١٩٢١ (نشرتها « المكتبة العربية » فى هذا العام) **ـ نرى فيها قصة بعنوان « مأساة قروية » صور فيها الكاتب مظاهر الطبقية والنفوذ الاقطاعى فى الريف وجناية الاقطاعيين على الفلاحين الكادحين الى حد الاعتداء على العرض** ، اذ تدور على حادث فتاة من القرية

كانت تحب ابن عمها وهو يحبها ، ثم تعلقت بابن الباشا مالك الأرض واحبته واعرضت عن ابن عمها، اذ جذبها فى الفتى الارستقراطى رقة حديثه وتلطفه معها ، وظنت انه سينقذها من حياة الفقر التى تعيشها مع اهلها ، اما هو فلم يكن الا طامعا فى جسدها .

ولعل عيسى عبيد أول من يستخدم الرمز عندنا فى القصص لتصوير الحادث الذى يعالجه بطريقة واقعية وتعزيز التعبير عنه . **ذلك انه عندما كان ابن الباشا يفترس الفتاة هبطت حداة « بقوة على شجرة التوت التى تظللهما حاملة بين مخالبها كتكوتا يحتضر ، وكان يسمع له أنين ضعيف مخنوق »**

ويستمر فى الصورة الرمزية فيشير الى ما كان من علم أهل الفتاة بالعلاقة الأثيمة بينها وبين ابن الباشا وقتلهم اياها دون أن يجرءوا على ابن الباشا ، فيقول عن الحداة :

« ولم تكد تستقر على أحد أغصانها حتى لحق بها غراب منقادا بحاسة الشم القوية الخاصة بالطيور الجارحة ، فتعلق على غصن يحاذيه . ولبث فى مكانه يراقبها بخوف وجبن وهو ينعق بكل قواه، وكان الحداة كانت واثقة من قوتها وتفوقها على خصومها فلم تعره أدنى اهمية ، وواصلت ببطء التهام فريستها الصغيرة ، وعلى أثر النعيق جاءت عصبة غربان حاولت سلب الحداة فريستها ، فبسطت هذه جناحيها القويين اشارة التهديد ، وما انتهت من عملها حتى ألقت نظرة ازدراء باردة على أعدائها الجبناء الذين لم يجسروا على الانقضاض عليها ، ثم حلقت فى الجو ، فتفرقت الغربان »

❊ ❊ ❊

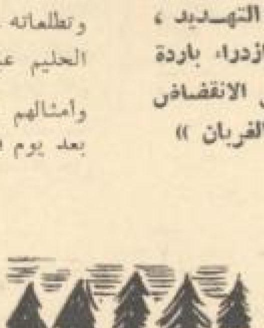
ونجد بعد ذلك ببضع سنين رمزا آخر بقصة اخرى عن الريف لمحمود طاهر لاشين ، هى قصة « حديث القرية » فى مجموعة « يحكى أن » **وهى قصة جيدة تهدف الى تصوير حال القرية المصرية وما يعيش فيه أهلها من فقر وما هم عليه من جهل، والى ان الطريق الى تخلصهم مما هم فيه هو أن يتسلحوا بالارادة والعمل ، وأن يشعروا بوجودهم ويصروا على تحقيق هذا الوجود .** قدم لنا فيها شخصية « مأذون القرية » الذى يضلل القوم ويبث فيهم أفكارا متخلفة لا تتفق مع حقائق الدين ، ويناقشه راوى القصة ، ويتحدث الى القوم فيصارحهم بشظف عيشهم ، ويبين لهم طريق الاصلاح . ولكن حين يتأهب المأذون للقيام «بدعوى ان حضرة العمدة وكثيرا من الأعيان فى انتظاره » يقبل عليه — على المأذون — الفلاحون « بنفوس مطمئنة راضية يقبلون يده ويحمدون الله على نعمة الستر .. »

وتختتم القصة بهذا الختام الرمزى الذى يعبر عن الموقف كله ، اذ يقول الراوى :

« وآثرنا البقاء — صديقى وأنا — فتركوا لنا المصباح ، وقنعوا بان يتبعوا فقيههم فى الظلام ... »

ويزداد اتساع الحركة القصصية ، ويتطور فن القصة بنوعيها : الطويلة والقصيرة . فنرى الريف مبسوطا — بشخصياته وصور حياته ومواجعه وتطلعاته — فى قصص عبد الرحمن الشرقاوى وعبد الحليم عبد الله ومحمود البدوى ويوسف ادريس وأمثالهم من الكتاب الفلاحين الذين يزدادون يوما بعد يوم والحمد لله .

عباس خضر



... بل شنيعاً ! ! !

بقلم : محمود محمد شاكر

- ٤ -

وإذن ، فليس حسنا ، بل شنيعا أن ينتصب امرؤ له بقية عقل ، فيقوم قائما ليخون جهرة وعلانية أمانة البيان وأمانة القلم ، لأنه عندئذ انما يخيس باوثق عهد عهده الله الى بنى آدم ، حيث علمهم البيان وعلمهم بالقلم . وكل ناطق بلسان أو كاتب بقلم ، فانما هو معلم لمن يتلقى عنه . فاذا احتال ، وغش ، وخادع ، وكذب ، واجترأ على مالا يحسن ، وادعى مالم يكن ، وحرف الكلم عن مواضعه ، وبدل لفظا بلفظ ليزور باطلا ، فزوق وحسن ، وأخفى معالم القبح فيه بالتدليس ، وستر عواره ودمامته بالمخرقة والتمويه ، (والمخرقة ، احتيال الدجاجلة بالحيل الخفية) ، فقد خرج بفعل ذلك عن أن يكون مبينا وكاتبا ، الى أن يكون دجالا يجعل الصدق طلاء لما تعاف النفوس من كذبه . وخرج من أن يكون معلما لمن يتلقى عنه ، الى أن يكون نهازا لغفلات السامعين والقارئين ، يريد الغدر بهم وبعقولهم ليفسدها بآفة من آفاته ، وانما هو مخاتل يتخذ ثقة المتعلم بمن يظن أنه يعلمه ، شبكة وحبالة للايقاع به . هذا كله شنيع ، فاذا جاء وقد ناط الى اسمه لقبا يتدل كأنه وسام شاهد مصدق لظن المتعلم فيه ، فذلك من فعله أشنع . فاذا ألبس مكره بالقارىء قناعا يقال له « المنهج » ، يبتغى بذلك أن يأتيه من مأمنه ، فلا تخامره الهواجس والشكوك فيما يقال له ، فذلك أوغل في الشناعة . فاذا صال على المتعلم صولة الشرلتان المدرب (والشرلتان ، معروف معناه في كلام الأعاجم) فتذاءب عليه (أى فعل فعل الذئب في المهاجمة) ، فأتاه من عن يمين وشمال ، فاستكثر بذكر أسماء العلماء والكتب ، ليتاح له أن يلقى اليه أقوالا مؤكدة إلقاء الحقائق المسلمة المفروغ من صدقها وصحتها ، فذلك أخبث الشناعة ، وهو بالقارىء المخدوع أضر من الوباء المتفشى ، ومن الطاعون المستعر . فاذا كان ، على ذلك كله ، ممن ائتمن على كرسى أستاذية ، أو على صحيفة سيارة فى الناس عالمهم ومتعلمهم وشاديهم ، فارتكب هذا الطريق علانية وجهرة وبلا حياء يحجزه أو يردعه ، أو يكف من غرب تحرقه على نشر ما يطوى من الخديعة (وغرب كل شىء ، حدته ومضاؤه) ، فقد جمع الخمسة المهلكة ، ليتجرعها آلاف آمنون غافلون ، نفت ثقتهم به ريبة قلوبهم بما يكتب ، لا بل زاد ، فأتى بسادسة الأثافى ، ولم تكن الأثافى قبله سوى ثلاثة ، وذلك بالقائه على من ائتمنه على الكرسى أو الصحيفة جريرة يده ، لأنه مكن له أن يفعل مافعل ، وأصحاب العقل يقولون :

ان العفيف اذا استعان بخائن

كان العفيف شريكه فى المآثم

ويقولون فى أمثالهم : « من استرعى الذئب ظلم »

فمن أجل هذا حملت القلم بعد طول التمادى فى هجرانه ثلاثة عشر عاما ، لأهتك أقنعة المخرقة على عقول الناس بالباطل المموه ، ولأكشف غاشية الوباء المنتشر بلا رقيب يدفع أو طبيب يعالج ، ولأزيل الغطاء ، ان شاء الله ، عن مسارب الهلاك الخفى الذى بدأ يتدسس الى أبناء أمتى ، وهم فى غفلاتهم آمنون ثم حملته ، بعد ، لأذود عن شيخ المعرة ، رحمه الله وارحمتاه للشيخ ! حاق به البلاء منذ كان ناشئا طريا فى الرابعة من عمره ، فاغتاله الجدرى فعاث فى وجهه وحفره ، وذهب بيسرى عينيه فغارت وانطفأت وضغط على اليمنى فنتأت (أى برزت) ، لابسة غشاوة بيضاء ، فصار مرآه للناس شنعة ، حتى يقول راثيه فى صفته : « وهو صبى دميم الخلقة ،

مجدور الوجه » . ولم يكد يسير ذكره فى الناس ، حتى أخذته مقاذع الألسنة (وهى الكلام القبيح والفحش) ، فرمى بالالحاد وسوء الاعتقاد حسدا ونكاية ، الى أن توفى سنة ٤٤٩ . اثنتان وثمانون سنة ، لقى فيها الضر المفزع ، والبلاء المستبين . وكان الشيخ لم يكفه ما لقى من هذا كله وهو حى يحس ويتألم ، حتى يخرج عليه ، بعد دهور من مماته ، « تركبولى » محترق ، (والتركبولى ، هو رأس رماة الافرنج ، باليونانية) ، ليعيث هو أيضا فى رمة الشيخ ، وفى أدبه ، وفى علمه ، لا يردعه شىء عن الضرب المثخن بقنطاريته (وهو الرمح الثقيل، باليونانية وكل الالفاظ اليونانية التى استعملها كانت معروفة للمسلمين زمن الصليبية) ، ليشطب صورته ويزيدها تشويها ، (يشطبه ، يقطعه ويمزقه، وهو الذى يقال بعامية مصر : يشضبه) . ثم لا يقنع بهذا حتى يتناول العصر كله برجالاته : وأفكاره ، وأحداثه ، وأحواله بوجه عام ، كما يقول الدكتور ، فيشطبه تشطيبا ، ضربا وطعنا ، يمينا وشمالا ، بيد قاسية ، كان فيها ضغينة ثلاثة عشر قرنا ، ظلت دفينة مستكنة ، ثم هاجت فجأة هياج المرة السوداء ، (والمرة السوداء ، بكسر الميم ، مزاج من امزجة البدن ، يسأل عنه الأطباء) .

ومع علمى بكل ذلك وصفته ، لم أحاول بعد أن آخذ الدكتور لويس عوض من هذا الجانب ، بل أخذته من الجانب الذى يريد هو أن يعرضه لأعين الناس ، من جانب العلم والأدب والكتابة والأستاذية الجامعية ، وسائر هذه المراقع التى يتكمكم فيها ، ليوهم أنها طيلسان أستاذ جامعى . (يتكمكم ، يتلفف فيها ويختفى . والطيلسان، الروب الجامعى) . وتحت هذه المراقع البلاء الماحق لعقول الشباب المتطلعين الى العلم والمعرفة ، لأنها تستل من قلوبهم الشك والريبة فى حديث الرجل المتدثر بشارة العلم والثقافة . فكان من حيلته أن عرض للناس بذكر « المنهج » ، ليزداد الغافل اطمئنانا لأستاذيته . فمن أجل ذلك بينت معنى « المنهج » فى الكلمة الاولى ، وأنه شطران ، والشطر الاول يتناول مادة الدراسة ، وذلك بجمعها وتصنيفها وتمحيص مفرداتها وتحليل أجزائها بدقة وحذر ، ليتبين زيفها من صحيحها . فليت شعرى ماذا فعل هذا الاستاذ الجامعى ، زعم ؟ وما مادة دراسته لشيخ المعرة ورسالة الغفران ؟

أثار الغبار القاتل منذ عهد هوميروس ، الى أن انتهى الى زمن الصليبية فى المقالة الرابعة من مقالاته التسع ، وهو فى خلال ذلك يعلو ويهبط ، ويجرى يمنة ثم يركض يسرة ، وينشر ثوبا ازرق ، ثم يطويه فينشر آخر أبيض وأحمر وأخضر ، ويوقد نورا ثم يطفئه ثم ينيره ، كأنه ساحر عبقرى ، حتى اذا انتهى الى آخر المقالة الرابعة تلاعب وصرخ وبعثر وأخفت ضوءا وأشعل آخر ، ليوهمك أنه عمد الى تاريخ شيخ المعرة ، صاحب رسالة الغفران ، فنفضه نفضا ، فلم يجد فى هذا التاريخ كله خبرا يهدى الى حقيقة « هذا الرجل العظيم » ، سوى خبر واحد ، هو حديث راهب دير الفاروس ! (أى دجل هذا ؟) . ثم ماذا ؟ ثم لم يكن هذا الخبر سوى خبر وقع اليه عرضا فى كتاب واحد ، ألفه الدكتور طه حسين منذ أكثر من خمسين سنة . ثم ماذا ؟ ثم تجد الدليل القاطع على انه لم يقرأ كتاب الدكتور كله ، واذا كان قرأه فانه لم يفهمه . ثم ماذا ؟ ثم تنفش حين نقل الخبر بذكر رجلين ، أقطع انا بانه لايعرف من هما ، ولا أين كانا ، ولا أى شىء كتبا ، وهما القفطى والذهبى ، فاسند اليهما الخبر كأنه منقول عن كتابيهما ، وهذا غش فاضح . ثم ماذا ؟ ثم لم يقتصر على هذا التنفخ الغث حتى خان الأمانة، فقرأ أربعة أسطر من كتاب الدكتور ، وأغفل ماجاء بعدها مباشرة من نقد لهذا الخبر . وهذا أشد شىء غثاثة . ثم كان ماذا ؟ ثم استخرج من هذه الأسطر الأربعة نتيجة ألقاها كأنها حقيقة واقعة ، اذ جمع بين أبى العلاء الذى توفى سنة ٤٤٩ ، وأسامة بن منقذ الذى ولد سنة ٤٨٨ ، فجعلهما صبيين يتعلمان معا بانطاكية ، ويختلفان الى مكتبتها ، فى عهد غلبة نصارى الروم على هذه المدينة ؟ ثم ماذا ؟ ثم زعم أن بانطاكية يومئذ « حضارة زاهرة ، حسب ماروى ياقوت الحموى » ، أو كما قال ! فقول ياقوتا ما لم يقل ، فدلس تدليسا قبيحا ظاهرا لم أتناوله فيما مضى ، وسيأتى بعد فى مكانه . ثم لم يكن أمينا ولا صادقا فحرف الكلم عن مواضعه ، لأن الدكتورطه يقول : « ولقى بهذا الدير راهبا قد درس الفلسفة وعلوم الاوائل ، فأخذ عنه ماشككه فى دينه وفى غيره من الديانات » ، فمسخ كلام الدكتور طه وحذف منه مافيه ذكر دين أبى العلاء وغيره من الديانات !! ليسوق الخبر فى غبار من ركاكة التعبير والتصور فيقول : « وقد تعلم المعرى فى اللاذقية ،

كما تعلم فى أنطاكية ، ففيما روى القفطى والذهبى انه نزل بدير فيها : « ولقى بهذا الدير راهبا قد درس الفلسفة وعلوم الاوائل » ، بلغة طه حسين ، أو باختصار ، أخذ عنه اليونانيات ، فما علوم الأوائل هذه التى كانت تقرأ فى الأديرة تحت حكم الروم ، الا آداب اليونان وفلسفتهم فى لغتها الأصلية » ، فوضع جزءا من كلام الدكتور طه بين ضبابتين من الغثاثة ، وزاد فجعل « لقاء الراهب والأخذ عنه » ، « تعلما فى اللاذقية » بلا حياء ولا حرج • ثم ماذا ؟ ثم غش القارىء وخدعه وزور عليه، حين ساق هذا الغثاء كله مساق الحقائق المسلمة التى فرغ هو من دراستها وتمحيصها على « أسلم منهج » كما قال ! فصارت بديهية لاتحتمل المناقشة ليس الا التسليم • ثم ماذا ؟ ثم ختم هذه البلايا بمرسوم حاسم أصدره البسكند (الفيكونت) الدكتور لويس عوض هذا نصه : « والحق انه لا يعرف شىء عن تعليمه الرسمى (يعنى تعليم أبى العلاء الرسمى !! وهذا أجد شىء واطرفه واظرفه) حتى سن العشرين ، وهى سن التكوين ، الا أنه تعلم فى حلب ، ثم فى أنطاكية ، ثم فى اللاذقية ، ثم فى طرابلس (بهذا الترتيب المدروس ، البديع، المدهش !!) • ومثل هذا الغموض الذى أحاط بتكوينه العقلى حتى سن العشرين ، يحيط أيضا بحياته كلها ، فيما بين العشرين والخامسة والثلاثين» (التوقيع : البسكند ، الدكتور لويس عوض ، المستشار الثقافى لمؤسسة الاهرام ، وعضو جمعية الأدباء) • فأى جراة على صب الغثاثة على الورق ! (فائدة : البسكند ، هكذا عربه المسلمون أيام التحامهم بالصليبيين)

فهذا أستاذ جامعى يتبجح بذكر « أسلم منهج » ثم لا يكون من فعله الا أن يأخذ خبرا لقيطا وقع عليه عرضا بلا قراءة وبادعاء غث للقراءة ، فى كتاب الفه صاحبه صغيرا منذ أكثر من خمسين سنة ، ثم لم يسلك فى مدارسته مسلك مبتدىء جامعى، فضلا عن أستاذ جامعى • ثم لم يسأل نفسه سؤالا واحدا يدل على أدنى ذكاء ، فضلا عن أستاذية • ثم لم يبال ، ابراء للذمة ، أن يراجع المصدرين اللذين انتفخ بذكرهما ايهاما وتطاولا بالاطلاع ، وتدليسا على القراء •

وهذا أستاذ جامعى صاحب « منهج » ، لم يخطر بباله قط أن على المبتدىء فى دراسة الآداب ، أن يتتبع أى خبر وجده ، لينظر من أين جاء ؟ ومتى جاء ؟ ومن قائله ؟ وفى أى زمان كان ؟ وعسى أن يجد فائدة ، والا ابراء للذمة !! ، والا حياء أن يصبح فيجد الخبر عند الناس موجودا فى عشرة كتب مطبوعة ، وبعشر صيغ مختلفات ! ليس منها الصيغة التى ذكرها الدكتور طه فى كتابه ونسبها الى القفطى والذهبى ! وقليل من الحياء يصلح العقل !

وهذا أستاذ جامعى بعد ذلك كله ، يعمد الى كلام الدكتور طه ، فيحرفه ويبدله ، ويستخرج منه مالا يعقله انسان عاقل ، فضلا عن أستاذ جامعى ، ثم يزيد فيترجمه الى لغة ركيكة سقيمة ، بلا حذر ولا حيطة ولا تدبر • آه ، هذا أستاذ جامعى مجترىء لم يتوهم قط أن الآداب والفلسفات انما تقوم بالالفاظ ودراستها وتحليلها • وهذا فعله فى الفاظ خبر ، فما ظنك به فى الشعر مثلا !!

وهذا أستاذ جامعى ، يأتى منتفخا متنفشا ، ليكتب عن أثر أدبى لرجل لا مغمور ولا مجهول ، له ترجمة فى أكثر من ثلاثين كتابا ، وكتب الناس عنه شرقا وغربا ، قديما وحديثا ، والكتب بين عينيه مطروحة على الأرصفة وفى الطرقات ، ثم لايعنى نفسه عناء فى البحث ، ليعرف من شيوخ أبى العلاء الذين تلقى عنهم حتى سن العشرين ، ولا ما كان من أمره وخبره حتى بلغ الخامسة والثلاثين ، ليكذب على الناس ويدعى ويزور ، فيقول انه لايعلم شىء عن تعليمه الرسمى (!!) حتى بلغ هذا العمر •

وهذا أستاذ جامعى ينتهى ، بعد هذا الغثاء كله ، الى أنه لايصح شىء فى العقول ولا فى الكتب ، سوى أن أبا العلاء تعلم فى أنطاكية ، التى كذب على القدماء فزعم أنهم قالوا : انه كانت بها حضارة زاهرة !! وذلك حين دخلت فى حوزة الروم فاجلوا منها المسلمين من سنة ٣٥٣ قبل مولد أبى العلاء ، الى سنة ٤٧٧ بعد وفاته ، ثم فى اللاذقية التى لم تكن أحسن حالا من أنطاكية ، حيث تعلم من راهب دير الفاروس ، يقول ذلك غير عابىء بعقل ولا فكر ولا نظر •

وهذا أستاذ جامعى يدخل فى الشطر الثانى من « أسلم منهج » ، فيحيط خبر الراهب ، قبل أن يطلع القراء على هذه النفيسة العجيبة ، بصورة ضخمة لغلبة أهل الصليب على أهل الاسلام ، لم نناقشها بعد ، ولكنها كاذبة ، ومن سمادير المدمنين لا أصل لها الا فيما يتراءى له من الأخيلة ، ويسميها

« الخلفية التاريخية لهذا الرجل العظيم ! » ، ثم يأتي بالفتى الضرير فيقحمه في ألوانها وظلالها ، وراهب دير الفاروس يقوده بيده أو بزمام مطروح في عنقه !!

وهذا أستاذ جامعي ، لا أدري من أي شيء سوى أديم وجهه ، يقول علانية انه جاء يعلم الناس « الانسانيات » ، يعني الآداب ، ثم يعزل صاحب آثار أدبية فريدة في تاريخ البشر ، عن أهله وعن منزلتهم في الناس ، وعن أهله وعواطفهم نحوه ، وعن أهل دينه وعاداتهم وأخلاقهم وآرائهم ومعتقداتهم، ثم عن أبيه وأمه اللذين كانا يحوطان ضرارته وعجزه، فيرعيانه ويكفلانه ويقومان بكل أمره ، حدبا عليه واشفاقا ، لما أصاب صغيرهما من الضر والعمى والبلاء ، فينتزعه من هذا كله بلا عقل ، وبلا تدبر، وبلا انسانية ، وبلا شعور ، ليعامله في مقاله معاملة المقاطيع واللقطاء من عميان السيد البدوي وسانت تريزا ، فيخرجه من بين هؤلاء جميعا فتى صغيرا أعمى عاجزا وهو في نحو الثانية عشرة من عمره ، ليدور به ويتسكع بين حلب ، وأنطاكية ، واللاذقية ، وطرابلس ، وحيدا منفردا بلا راع ولا رفيق ولا قائد ، ثم يطرحه في أيدي الرهبان يثقفونه باليونانيات من أدب وفلسفة ، ولا قيمة عند هذا الرجل لما يقال في كتب القدماء !! من أنه ولد لأبوين مسلمين ، وفي قرية مسلمة ، وان مآبه بعد التسكع بين الرهبان والأديرة مآب الى ديار أهل الاسلام !! كل هذا لاقيمة له ولا خطر عند أستاذ جامعي ، تبجح بأنه جاء يعلم الناس « الانسانيات» !

وهذا أستاذ جامعي بعد ذلك كله ، يأتي بلا حياء فيكتب تسع مقالات متتابعات عن شيخ المعرة ورسالة الغفران ، وهو لم يقرأ حرفا واحدا من شعر أبي العلاء ، وان كان قرأ منه شيئا أو قرىء عليه فانه لم يفهم منه حرفا على الوجه الذي يفهم به الشعر ٠ وهو لم يقرأ « رسالة الغفران » التي يكتب عنها ، لاقراءة صحيحة ولا قراءة غير صحيحة ، بلا ريب عندي في ذلك ، كما سيتبين ذلك لكل ذي سمع وبصر ، أديبا كان أو غير أديب ٠

فانا أريد أن أسأل بعد هذا كله سؤالا واحدا : أهذا سلوك أستاذ جامعي يحمل لقبا يدلس به على صغار الناس وكبارهم ، ويغتال غفلاتهم عن عواره ، ثقة منهم بكرامة هذا اللقب ، وكرامة من يحمله ؟ ٠

وجواب كل ذي عقل أو حصاة من عقل: لا ولا كرامة٠ فاذ لم يكن هذا السلوك سلوك أستاذ جامعي ، ولا مبتدىء جامعي ، ولا طالب ثانوي ، ولا أحد من عرض الناس يشدو دراسة الآداب أيا كانت ، وفي أي لغة شئت ، فكيف أستحل بعد ذلك لنفسي أن الزق باسمه لفظ «الدكتور» ؟ لا ولا كرامة ، لن أستحل ذلك تنزيها لهذا اللقب عن الابتذال ، وحماية للنشء من التغرير ، واستنكافا أن أغمس مداد قلمي في كذب مفضوح يعين على تغفل القراء ، وكنت أظنه واجبا قديما على جامعاتنا أن تعيد النظر في هذه الاجازات التي تمنحها بعض جامعات الدول الكبرى اليوم ، لبعض من يثبت الاختبار أنهم دخلاء : ماهي هذه الاجازات ، وكيف منحت ؟ ولمن تمنح ؟ وعلى أي أساس ؟

وأنا لاأسأل الجامعات هذه الأسئلة ، ولا ألزمها بهذا الواجب ، مقتصرا على ما كتبه لويس عوض عن رسالة الغفران وشيخ المعرة ، ولا عن ابن خلدون من قبله ، ولا عن المؤثرات الاجنبية في الادب العربي ، ولا على مافي بلوتولند من شعر ونثر ، ولا على سائر ماكتب في الصحف والمجلات في شأن العربية وشعرها وآدابها ، وسيأتي بيان ذلك كله في حينه ــ لا بل أزيد أيضا ما يدلس بكتابته عن آداب الروم واليونان والانجليز، فان فعله في ذلك لا يقل مجانة عما يكتب في أدب العرب ، وهو تهويل كله بأسلوب فج غليظ أقطع بأنه لو ترجم الى أي لغة من اللغات ، لاستلقى القارئون على أقفيتهم من الدهشة والضحك ، وليس من همي أن أكشف هذا التدليس المغرر بالناس، لأني منذ رفضت أن أضع على وجهي ميسم العبودية لليونان والروم وما تولد عنهما من الاجيال الى هذا اليوم ، لافي أدب ولا في غير أدب ، فاني رفضت أيضا أن أغمس قلمي في مداد العبودية لهم ٠ ودارسو آداب الامم ، وهم كثر متقنون ، عليهم أن يكشفوا بأقلامهم تزييف هذا الرجل فيما يكتب ٠ وهذا واجب يلزمهم اياه الحفاظ على صحة عقول النشء منذ غضارة الصبا أن يصيبها من هذا الوباء المتفشي داء يعجزها عن الاستقلال بحريتها في هذا الزمن السريع المختلط المتضارب الأهواء والنوازع والمكايد الخفية ٠ وتخلي من يطيق ذلك عن هذا الواجب لأي سبب من الاسباب ، عون على نشر المفسدة ، فضلا عن مناقضته للامانة التي يحملها كل أستاذ جامعي دارس ٠

والآن وقد فرغت من طرح عبء ثقيل جدا كنت

أحمله وأنا أكتب قبل اسم لويس عوض لفظ «دكتور» ويزيده ثقلا ما كنت أجده من الغضاضة في ذلك ، لأني كنت أجدني كأني أخون الامانة أيضا بالمشاركة في ترويج أوهام ضارة بالنشء ، وتثبيتها بكثرة الاستعمال، مع صحة علمي بأن الشباب الغض سريع الى الوقوع في شرك الالفاظ التي تحمل تراثا من المهابة والتبجيل ، ونبضا حيا من الامانة والدقة والصدق ، والبعد عن الهوى ، واخلاص النية في حمل العلم ونشره بين الناس . الآن ، وقد طرحت عني هذا الثقل ، أعود الى لويس عوض مجردا عاريا من طيلسان الاستاذية المتخذ أداة للخداع .

«مثاتوس» (بالرومية) ، أي معاذ الله ، معاذ الله أن أظلم أحدا من الناس كائنا من كان ، من أجل ذلك عاملت لويس عوض في المقالات الثلاث السالفة برفق وتؤدة وأناة ، فلم أقل له مثلا : «انك جاهل معتق الجهل» مخافة ان يحمله على معنى الجهل الذي هو نقيض العلم ، قبل أن أقدم البرهان على ذلك ، وكنت في الحقيقة مريدا لها حريصا عليها ، لابهذا المعنى القريب المألوف ، بل بالمعنى الآخر الذي يقال فيه : «صبي جاهل» أي غرير ، طياش العقل ، سريع الى المتالف ، يجلب الشرور على نفسه من حيث يدري ولا يدري ، وكنت مريدا لها حريصا عليها ، لانها تؤدي ما أريد من صفته ، لانه استمرأ اللعب بآداب العرب وكلامهم منذ «بلوتولند» ، ولم يزل يزيد لعبا حتى أوقع نفسه في المهالك المتلفة ، وكان غنيا عنها بيونانه ورومه وقرونه الوسطى والمتطرفة ، يتلعب بهم كما يحلو له وكما يشاء ، ولا حرج .

اما الآن وقد استجاب الله سبحانه دعاء الضارعين اليه في يوم الجمعة المبارك الساعات فنشر لويس عوض مقاله التاسع ، وكتب في ذيله ، «انتهى البحث» ثم يسر لي سبحانه ان اجمع الاسباب الداعية الى القاء العبء الثقيل عن كاهلي ، فقد جعلت مكافأة لويس عوض على مسارعته إلى اعفاء الناس من غثاثة ما يقول وما ينشر ، ان أدع له حديث راهب دير الفاروس جانبا ومؤقتا ، وان كانت له بقية تعد تحفة من التحف ، وآخذ في طريق آخر ، هو أخف مؤونة على القراء ، وأعون لهم على فهم حقيقة هذا الكاتب الذي كان يقال في مثله قديما :

فعد عن الكتابة ، لست منها
ولو لطخت ثوبك بالمداد

فأنا أعقل ، على صورة ما ، أن يكتب لويس عوض عن آداب اليونان والروم والقرون الوسطى «وشعراء الانجليز وأشباه ذلك ، مدعيا أنه قد تولى الامارة عليهم وعلى لغاتهم ، فهذا ممكن هه ! ومعقول هه ! ولكنه شيء لايعنيني ولا أحاسبه عليه . ولكن الشيء الذي لا أكاد أعقله ، ولا يكاد يعقله عاقل صحيح العقل من الآفات ، هو أن يمد لويس عوض سلطان امارته على لغة العرب ، فيشرح الفاظها ويفسرها ويستنبط منها . ولماذا ؟ ستعرف ان شاء الله . فقد كتب لويس عوض ترجمة لحياة لويس عوض !! وجعلها مقدمة لشيء ، استغفر الله لشعر سماه «بلوتولاند» وقصائد أخرى» ، وفي (التجربة رقم : ٦) من تجاربه الخالدة ،وهي تجربة «كسر رقبة البلاغة !» قال «لازال سلطانه على اليونانية مبسوطا،وعلى الرومية محطوطا» يصف نفسه العزيزة :

« فاذا أضفنا الى ذلك أن احساسه باللغة ضعيف بالفطرة (غريبة !! هذا صحيح !) علمنا كيف تأتى له أن كسر رقبة البلاغة (وهل في ذلك شك ، يازول) . وقد اعترف لي (يعني أن لويس عوض، اعترف للويس عوض !!) بأنه لم يقرأ حرفا واحدا بالعربية بين سن العشرين والثانية والثلاثين (أي اثنتا عشرة سنة !) الا عناوين الاخبار في الصحف السيارة ، وبعض المقالات الشاردة ، الزمته الضرورة السياسية بقراءتها .. فاحساسه باللغة أجنبي جدا على كل حال » ، وبالطبع هذا كلام انسان عاقل جدا ، ومتمالك لجميع قواه العقلية ، فمن أجل ذلك نخاطبه ، والا كانت مخاطبته ضربا من العبث والجنون !!

فاذا كانت هذه صفتك لنفسك ، وانت في الثانية والثلاثين من عمرك ، يالويس عوض ، فبأي عقل بعد ذلك تأتي فتلعب في آثار شيخ المعرة ، وفي كوميديا دانتي أيضا ، ولا مؤاخذة ، ثم لاتقتصر على اللعب فيهما ، بل تلعب ايضا فيما تسميه « أحاديث المعراج » ، (وهذه لها ذيول طويلة لم يحن حينها بعد) ولا تقتصر على هذا ، فتمد سلطان بلاغتك المكسورة الرقبة على لغة الطليان والعرب في آن واحد ، وفي قرن واحد ، أي حبل واحد ؟ وكيف كان ذلك ؟ تراك تقول ان دانتي يقول والله أعلم بترجمتك المكسورة رقبة بلاغتها : « قالت بياتريس : لم تدلهت في عشق وجهي ، حتى الهاك العشق عن النظر الى الحديقة الفاتنة التي أينعت تحت ضياء المسيح ، هاهي ذي الوردة التي فيها أصبحت الكلمة الالهية جسدا » ، ثم

قلت : «وكانت الوردة هي مريم العذراء : روزا مسكيتا» كما يسمونها » • ودل كلامك بعد ذلك على أن الوردة هي الزهرة التي تشــم بالأنف ، : (أي بالروز ، بالانجليزية : ليكون أوضح لك !) أليس هــذا صحيحا يالويس عوض ؟ بالطبع نعم •

فالآن ننظر ماذا كانت عاقبة لعبك و (لغوصتك) في كلام العرب • يقول بعد الذكاء المفرط ، والشروح النفيسة ، والمقارنات الادبية الخارقة للعــادة • • والفيلولوجيا المدهشة (أى فقه اللغة) مانصه أيهــا السادة ، واستعينوا بالله واحملوا معي رقبة بلاغتــه المكسورة ، وأمرى وأمركم الى الله ، يقول :

«غير ان بعض التفاصيل الواردة في فردوس دانتي، توحي بأنه اقتبس أيضا من القرآن الــكريم ، ومن رسالة الغفران ، وربما من غير ذلك من المصــادر الاسلامية ، فتصويره للوردة السماوية (وهي مريم العذراء ، روزا مسكيتا) ، يوحي بأن له صلة بما جاء في سورة الرحمن : « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان» • وقد اتخذ دانتي من وردة الفردوس رمزا لمريم العذراء ، ووصف الوردة بأن أوراقها من الملائكة وقد كان للوردة أدب غزير في العصــور الوسطى الاوربية ، مثل «قصة الوردة» الشهيرة ، وهو كله قصــص ظاهره دنيوى ، وباطنه بحث بالخيال في الالهيات على طريقة دانتي ، ومنه ماهو سابق لدانتي وليس له في التراث الكلاسيكي الاوربي أصــول معروفة • فليس يبعد أن تكون أوربا المسيحية في العصور الوسطى قد أخذته من العالم الاسلامي عن طريق اسبانيا وصقلية ، وترجمت رموزه بما يتمشى مع ديانتها ، والمعرى نفسه ، ينسج على صــورة الوردة في سقط الزند ، ويجعلها في الارض لا في السماء :

فاذا الارض وهي غبراء صــارت
من دم الطعن وردة كالدهــــان

ولكن الوردة السماوية في القرآن الكريم وتفاسيرها هي المقابل الأصل الذى خرجت منــه كل هــذه الاجتهادات في أدب الوردة » • بم ، بم ، انتهى •

وبالطبع هذا كلام انسان عاقل جدا ، عاقل من صنف مدهش جدا ، وسأتولى ترجمة كلامه لطــول خبرتي بالترجمة : «دانتي ، اقتبس من القرآن ، من رسالة الغفران، ربما من غير ذلك من المصادر الاسلامية أنا لويس عوض أستاذ محنك جدا ، أنا مفرط الذكاء، «الوردة السماوية» مريم العذراء ، في سورة الرحمن «وردة كالدهان» ، انها روزا مسكيتا هنا ، علمى انا وسع ، أنا لويس عوض ، أدب غزيز في «الوردة» قصص اطلعت أنا لويس عوض عليها ، العصــور الوسطى ، قصص له ظاهر وباطن ، بحث في الالهيات التراث الكلاسيكي ليس فيه وردة ، اوربا أخذته من العالم الاسلامي ، أنا ذكي ، نعم أنا لويس عوض ، ترجمات عن اسبانيا وصقلية ، لم لا ؟ رموز ، المعرى عنده وردة أيضا ، في سقط الزند ، أنا قرأت شعر المعرى، لكن وردة أرضية لاسماوية، الوردة السماوية في القرآن ، وجدتها أنا وحدى ، أنا لويس عوض ، لا أنا اطلعت على تفاسير القرآن ، أنا لويس عوض ، اجتهادات أدب الوردة، أعرفها كلها، أنا لويس عوض»

وحسبي حسبي ، فقد مللت هذا الشرلتان الدعى المجترى» ، اى خبل داخل جثمان هذا الرجل حتى استولى على جميع أعضائه ؟ ما الوردة الســماوية (مريم العذراء، روزا مسكيتا) ، وما «وردة كالدهان» اى مجنون يطيق أن يتكلم بهــذا في كتاب يقرؤه الملايين من البشر ، فيأتي هذا التالف فيلعب بالفاظ لغته ، كما يشتهي علانية ، بلا حياء ولا خجل ويدعى أنه قرأ تفاســير «وردة كالدهان» ؟ أى خيال من سمادير الادمان تخيــل له أن السماء اذا انشقت وانتثرت نجومها يوم القيامة صــارت كالوردة التى تشم بالانف في شكلها ؟ أهذا انسان مفيق ؟ أهذا خلق يتكلم في الآداب ، وفي الشعر ؟ أهذا تصور يليق بمن يحمل رأسا فيه ذرة من عقل ؟ هذا معتوه لايخاطب •

ولكني أخاطب الآن من صب الله عليهم هذا الوباء المحرق ، من شباب وصغار وعامة ، يخدعهم اللقب الذي يلصق باسمه ، ويخدعهم نشر خبائثه في أعظم صحيفة في بلاد العرب والاسلام ، فتحملهم المهابة لألقاب العلماء والثقة بصحيفة الاهرام ، على سرعة التسليم بأن لهذا الصديد المنبثق من كلماته معنى يفهم ، ومعنى ذلك بلا اطالة ، هو أن الله ســبحانه وتعالى ينذر عباده ، ويخوفهم بما سيكون يوم القيامة من الهول والفزع الاكبر : «يوم تبدل الارض غير الارض والســموات » ، فتنكدر النجوم ، وتنتثر الكواكب ، وتنشق السماء وتنفطر ، ويتبدل لونها حمرة صافية مشرقة من شدة اللهب يومئذ ، فذلك قول الله سبحانه في صفة يوم القيامة ، «**فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان • فبأى آلاء ربكمــا تكذبان • فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان • فبأى آلاء ربكما تكذبان • يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنــواصي والأقدام • فبأى آلاء ربكما تكذبان** » •

فمعنى «وردة» أي حمراء، وهي صفة ، أما«الوردة» التي تشم ، فهي اسم لا صفة . يقال للمذكر « أسد ورد» ، و «فرس ورد» أي احمر اللون ، وللأنثى «فرس وردة» أي حمراء ، فلفظ «وردة» لفظ مشترك بين الاسم والصفة ، فما لهذا المأفون المتعالم يظن أنه كشف كشفا بذكر «الوردة» التي هي عند دانتي (روزا مسكيتا) ، فيسارع الى اقحامها في آيات عذاب يوم القيامة لمجرد اشتراك في اللفظ بين الاسم والصفة ، ويتعالم غث بذكر تفاسير الآية كأنه بحق قرأها وراجعها وعرف معناها ، ومرة أخرى ، من اى اديم شق وجه هذا الرجل ؟ ٠

وتبلغ به تخانة وجهه ، أن يعود مرة أخرى الى قصيدة سقط الزند ، التي أخذ منها بيتا من خلال ابيات يذكر فيها شيخ المعرة الابل ، ويصف مالاقته نهارا في البيداء من هجير وظمأ ، ومارعت ليلا من صليان (وهو نبت له جذور ضخمة في الارض ، تجتثها الابل بأفواهها فتأكلها من شدة حبها لها ٠٠ فاذا كانت رطبة ، أساغتها ، واذا كانت يابسة غصت بها اي شرقت) ، فلم ير هذا الذي خبل بما خبل به الا «الصلبان» جمع صليب ، «تغص بها حلب» فكتب البيت هكذا :

صليت جمرة الهجير نهارا
ثم باتت تغص بالصلبان

وكتب تحته : «سقط الزند ، في وصف حلب » فلما نبهه بعض الناس لم يزد الا تخانة وجه فيما كتب من تصحيح، فقال : ان صحته الصليان ، بالياء وهو نوع من الشوك ترعاه الابل ، وان البيت السابق له هو المتصل بحلب ٠٠ وانه قد روجع على الأصل «فلزم التنويه» ! ٠ ونسي انه كتب تحته بيتا آخر وقال : «سقط الزند في الحروب الصليبية » ، وان المقالة تحت البيتين كلها في بيان غلبة نصارى الروم على أهل الاسلام ! فهذا أثخن شيء وجها ، حين عاد الى هذه القصيدة نفسها ليأخذ منها بيتا آخر هو :

فاذا الارض ، وهي غبراء ، صارت
من دم الطعن وردة كالدهان

وأبو العلاء يقول : ان الطعن والقتل استحر ، فسالت الدماء حتى غشت الارض ، فصارت أرض الميدان بالدماء حمراء كالأديم الأحمر المشرق ، فيأتي المكسورة رقبة بلاغته ، فيجعل الصفة هنا اسما ، وهو الوردة المشمومة ، ويزيد فيقول كلاما لا يفهم : «والمعري نفسه ينسج على صورة الوردة في سقط الزند ، ويجعلها في الارض لافي السماء» يعني كمافي سورة الرحمن ، وكما في دانتي الذي أخذ عنهما « الوردة السماوية » (روزا مسكيتا) !! يامغيث ! يامغيث ! فقد فاضت الغثاثة ، و «بلغ السيل الزبى، وجاوز الحزام الطبيين» ، ومن يصدق ان هذا يمكن أن يقرأ شعرا أو يفهمه ، ولو كان بالعامية !! ٠

بقيت مسالة بعد هذا البرد كله هي أن لويس عوض في ذاته ، لايهمني البتة مهما فعل ومهما قال فأنا أعرفه وأعرف ما كتبه ، ومن يكون ، منذ كان ونطق وصب على الناس ثلجه وغثاثته ، وسأكشفه للناس من الوجوه التي لايملك معها حيلة أبدا ، وقد مارست أشباهه من المستغربين والمستشرقين جميعا بما تنطوي عليه قلوبهم من السخيمة الآكلة ، وعقولهم من الغباوة والجهل الفاضح ٠

لكن الذي يهمني هو صحيفة الاهرام ، أتراها لاتعرف منزلتها في كل بلد من بلاد العرب ، وهم مائة وعشرون مليونا ، ثم في روافد بلاد العرب ،وهي بلاد الاسلام ، وهم ستمائة مليون أو يزيدون ، وكلهم عربيهم وعجميهم يرى القرآن كتابه ، ويرى أدب العرب أدبه ، ويرى صحيفة الاهرام صحيفته ،فكيف يقولون اذا رأوا أكبر منبر فيها قد أسلم الى رجل لايحسن يقرأ شيئا من العربية ، ولا يحسن يفهم شيئا في أدبها ، ولا يحسن مدارسة شيء على منهج ، ولا يحسن يتكلم كلاما يربط بين جمله عقل ؟ ومع كل ذلك تطالعهم صحيفةالادب فيها صبيحة كل جمعة بأعمدة سود قد حشاها خلطا وخبطا وعبثا ، ولعبا بالتاريخ ، وجراءة على الآداب ، وتخليطا في الجمل وبلاء لايحصى ، وآفات لاتعد ٠ وبعد ذلك كله يتاح له أن يلعب بأحاديث المعراج ، ثم لايكف فيندلع غروره الملتهب فيلعب بأصابع عقله (!!) في لغة العرب ، ثم لايكف ، فيأتي وقد أطبق جنونه الى آية من القرآن فيفسرها، ثم لايكف فينسب هذا الى تفاسير القرآن٠٠ كل ذلك أتاحته له صحيفة الاهرام أن يفعله ، بما أوتي من صفاقة وغش وكذب وادعاء وتحريف ، وبلا رادع من عقل أو حياء ٠ كيف يكون هذا ؟ أليست صحيفة الاهرام مسئولة عن كرامتها ، عن منزلتها عند الناس ، عن أدب الكلمة العربية ، عن عقول الناشئة وما عسى يحيق بها من هذا الوباء ، مما ينشره هذا الكاتب وشيعته في صحيفة الادب؟ واذا لم تكن مسئولة ، فمن المسئول اذن عن عربدة هذا الطليق الذي يفعل مايشاء ، ويقول مايشاء ، ويتعرى كما يشاء ؟ أنبلغ عنه شرطة النجدة ، حتى لا تصبح هذه الأمة فضيحة في الأمم ، حيث أسلمت منبرها العالي الى طليق من القيود ، مفلت من الأسوار ، ولله الامر من قبل ومن بعد ٠

محمود محمد شاكر

تفريطنا فى جنب العربية الفصحى
فى غابر تاريخنا وحاضره

بقلم الدكتور : علي عبد الواحد وافي

كانت العربية الفصحى موضع اهمال كبير طوال الفترة التى كان الانجليز فى أثنائها مشرفين على شئون مناهجنا الدراسية . فقد استقرت مناهجنا الدراسية فى هذا العهد على نظم فاسدة تكفل توطيد النفوذ الأجنبى ، واضعاف قوميتنا العربية ـ الاسلامية ، وتوهين جميع القيم الانسانية السامية فى نفوس المتعلمين ، وتخريج أشباه رجال لا يكادون يصلحون لشىء يعتد به فى الحياة . وقد وضع هذه النظم الفاسدة قسيس انجليزى يدعى دنلوب كان يعمل حينئذ مستشارا فى نظارة المعارف المصرية (كما كانوا يسمونها فى هذا العهد) ، وكان مسيطرا على جميع شئون التعليم فى مصر . ثم تولى هذه الشئون من بعده ومن بعد خلفائه من الانجليز ثلة من المصريين نشئت فى هذه المدارس ،وتعهدها الانجليز ، وصنعوها على أعينهم ، وأعدوها لتكون حربا على الثقافة العربية ـ الاسلامية . وكانوا يزهون بانهم يلوون ألسنتهم برطانة أسيادهم الانجليز . وخلف من بعد هذه الثلة خلف تربى على يديها ، وترسم خطاها . ونظر هؤلاء وأولئك الى السياسة الفاسدة التى وضعها دنلوب نظرة اجلال وتقديس ، ولم يحاولوا أن يغيروا شيئا من الأسس القائمة عليها ، ولا من الأغراض التى تستهدفها ، ولا من المناهج الجوهرية التى سنتها ، وانما داروا فى فلكها ، وانصرفت جهودهم الى عبث من التغييرات السطحية التى لا تمس الجوهر فى شىء .

وكانت العربية الفصحى أهم هدف سددت اليه سهام هذه السياسة الخبيثة . فلم يأل دنلوب وخلفاؤه من بعده جهدا فى العمل على اضعاف هذه اللغة فى المدارس المصرية ، والحط من شانها ، وجعلها فى المكان الثانى بالقياس الى بقية المواد . فقد كانت دروسها لا تكفى لالمام التلاميذ بأصولها ، وكانت أهميتها فى الامتحانات العامة وامتحانات النقل والواجبات المدرسية أقل كثيرا من أهمية ما عداها . فكان يكتفى لنجاح الطالب فى مادة اللغة العربية بما دون القليل ، بينما كان يحاسب حسابا عسيرا فى اللغة الانجليزية ومواد الرياضة والعلوم . وكانت تدرس له اللغة الانجليزية من السنة الأولى أو الثانية الابتدائية فيتلقى مبادئها فى الوقت نفسه الذى يتلقى فيه مبادىء اللغة العربية ، فتتزاحم مبادىء اللغتين ومعلوماتهما وتختلطان عليه،ويضطرب لسانه وذهنه اضطرابا كبيرا،ويحول ذلك بينه وبين اساغته للغة بلاده وتشربه لروحها . وكانت السياسة المصرية العامة تنظر شزرا الى مدرسة عالية أنشئت قبل الاحتلال الانجليزى لرعاية اللغة الفصحى والنهوض بها واعداد مدرسيها ، وهى مدرسة دار العلوم . وقامت النظم المدرسية ونظم وزارة المعارف على الحط من شأن مدرسى اللغة العربية عامة ، حتى لقد كان الواحد منهم لا يمكن أن يتجاوز الدرجات الدنيا فى مرتبه ، وحتى لقد كانوا مبعدين عن جميع الوظائف العالية . وظلت هذه الوظائف وقفا على صنائع الانجليز من غير مدرسى اللغة العربية أمدا طويلا ،حتى لقد كان من المستحيل

فى هذا العهد أن نجد من بين مدرسى اللغة العربية من يصل الى وظيفة ناظر مدرسة ثانوية أو ابتدائية. وكانت كلمة « خوجة عربى » (أى مدرس عربى) تعتبر قريبة من كلمات الشتائم والسباب ، حتى ان كثيرا من الأسرات الراقية فى مصر كانت لا تقبل تزويج بناتها من « خوجات العربى » . فكانوا من بين طبقات المواطنين بمنزلة المنبوذين من طبقات الهنود . وكان معظم الروايات الهزلية يدور حول السخرية بمدرس اللغة العربية وتزمته فى مراعاة قواعدها ـ وقد نجم عن ذلك كله أنه كان يندر أن نجد من بين المتخرجين فى مدارسنا من يجيد اللغة العربية فى حديثه وكتابته أو من ينظر اليها نظرة تقدير واجلال والمجيدون لهـــا كانوا لا يكادون يتجاوزون بعض المتخرجين فى دار العلوم والأزهر ومدرسة القضاء الشرعى ومن أشربوا حبها فى قلوبهم من غير هؤلاء فتوفروا من أنفسهم على دراستهـــا ومزاولة فن من فنونها .

وما كان ينتظر من دنلوب وخلفائه ، وهم يعلمون ان اللغة من أهم مقومات الشعوب ودعائم شخصيتها وخاصة اذا ارتبطت بالدين كما هو شأن اللغـــة العربية ، ما كان ينتظر منهم وهم يعلمون ذلك الا أن يكونوا حربا على اللغة العربية والقوامين عليها ؛ لأن ســـياستهم كانت تقوم على العمل على انحلال الشعب المصرى واضعاف قوميته وشخصيته .

ثم أخذنا بعد تحررنا من سيطرة الانجليز نوجه بعض العناية للعربية الفصـــحى فى المدرسة وفى الحياة العامة . فألغينا تدريس اللغة الانجليزية فى المرحلة الابتدائية ، وضممنا جميع ما كان مخصصا لها أو معظمه الى حصص اللغة العربية ، وجعلنـــا العربية الفصحى أهم مادة من مواد الدراســـة ، ورفعنا الحد الأقصى للنجاح فيها عن جميع مستويات المواد الأخرى ، وجعلنا الرسوب فيهـــا عائقا عن الانتقال الى السنة التالية وعن النجاح فى الشهادات العامة مهما كان مستوى الطالب عاليا فيما عداهـــا من المواد ، وعنينا بتجويدها فى المؤلفات ووسائل الاعلام ، وأنشأنا لرعايتها المجامع والمجالس العليا .

بيد أننا ، مع هـــذا كله ، لا ننفك مفرطين فى جنبها تفريطا كبيرا ، ولا تزال أوضاعها فى ألسنتنا وأقلامنا بعيدة كل البعد عما ينبغى أن تكون عليه .

ويبدو تفريطنا هذا فى مظاهر كثيرة يرجع أهمهـــا الى مظهرين اثنين وهما :

١ ـ اهمال العربية الفصـــحى فى أهم موطن من المواطن التى يجب استخدامها فيه ، وهو التدريس فيندر أن نجد من بين المدرسين فى مختلف مدارسنا وكلياتنا ومعاهدنا من يستخدم العربية الفصحى فى تدريسه ، بل انه ليندر أن نجد من بين مدرسى اللغة العربية نفسها من يستخدمهـــا فى شرح ما يريد توضيحه لتلاميذه من حقائق مادته . وانما يستخدم معظم المدرسين فى تدريسهم اللهجة العامية بقواعدها وأساليبها وأصواتهـــا ومفرداتها ، مع تطعيمهـــا ببعض أصـــوات ومفردات وتراكيب من العربية الفصحى . فيستخدمون مثلا صوت القاف فى بعض الكلمات ، ويقتبسون بعض مفردات عربية للتعبير عن مدلولات لايجدون فى العامية ما يعبر عنها ، ويركبون الجملة أحيـــانا تركيبا يحـــاكى تراكيب العربية الفصحى أو يقرب منها . ولكنهم يهملون اهمالا تاما أهم مقومات هذه اللغة وهى قواعد « السنتكس » و « المورفولوجيا » و « الستيليستيك » أى قواعد النحو والصرف والاسلوب فيقفون على أواخر جميع الكلمات بالسكون ، فلا تظهر وظيفـــة الـــكلمة فى الجملة الا من الســـياق أو من ترتيب وضعها فى العبارة . وينطقون بالكلمات المشتقة وغيرها فى أوزان عامية تختلف عن أوزانها الصـــحيحة . ويؤلفون عباراتهم فى أساليب لا تتسق مع أساليب العربية الفصحى . ولايلافهم هذه الأداة فى التعبير أصبحت ألسنتهم عاجزة عن التحدث بالعربية . واذا حاولوا التحدث بها أو حاولوا قراءتها من كتاب أو صحيفة ظهر فى كل جملة تخرج من أفواههم عدة أخطاء ـ ولا مفر أن يحاكيهم تلاميذهم فى لغتهم ، وينتقل اليهم ما هم عليه من عى وعجـــز ، بل لا مناص أن يصبح تلاميذهم أعجز منهم وأشد عيا ـ فانتهى بنا الأمر الى مانراه الآن ، وهو أنه يندر أن نجد من بين المتخرجين فى مدارسنا المصرية من يجيد اللغة العربية فى حديثه وقراءته . صحيح أننا نجد كثيرين ممن يجيدونهـــا فى كتاباتهم ، ولـــكنهم مع ذلك قد لا يكونون ، أو قد لا يكون معظمهم ، أحسن حالا من غيرهم فى القـــراءة والحديث ، ويكون سبب ظهورهم بمظهر الاجادة فى الكتابة راجعـــا الى أن الرسم العربى ، لتجرده من علامات دالة على شكل الحروف ، يتيح لكثير من الناس أن يكتبوا ويؤلفوا بدون أن يكونوا ملمين بأصول هـــذه اللغة ولا

مستطيعين هم أنفسهم قراءة ما يكتبونه قراءة صحيحة ، وبدون أن يظهر في كتاباتهم أي أثر لقصورهم هذا ·

ولا يخفى ما يترتب على ذلك من أضرار بليغة تلحق اللغة العربية نفسها وتلحق مكانتنا الحضارية والثقافية وزعامتنا للعالم العربي ·

وذلك أن عجز ألسنتنا عن التحدث بالعربية الفصحى وعن قراءة المدون بها قراءة صحيحة يوهن كثيرا من مقومات هذه اللغة ومن حيويتها ، ويضعف من مكانتها ، ويزحزحها شيئا فشيئا عن مواطنها ويتهددها بالزوال والانحدار الى أحداث اللغات الميتة ·

ولا نستطيع أن نزعم ـ وحالنا اللغوى على الوضع الذى وصفناه ـ أننا قضينا على الأمية أو أننا فى سبيل القضاء عليها · لأن معظم من نعدهم فى احصائياتنا الرسمية ممن يقرءون ويكتبون هم فى حقيقة أمرهم أميون أو أشباه أميين ، ومن هؤلاء كثير من الحاصلين على الشهادات المتوسطة بل العليا نفسها · وذلك أن اجادة القراءة والكتابة والخروج من حيز الأمية لا يكون الا باجادة الأداة المستخدمة فى القراءة والكتابة وهى العربية الفصحى · وقد رأينا الى أى مدى يبعد عن هذه المنزلة من نصفهم من أبنائنا بأنهم متعلمون ·

واستخدام العامية فى تدريس العلوم والآداب يؤدى لا محالة الى تخلف كبير فى الثقافة العلمية والأدبية نفسها · وذلك ان العامية ـ كما ذكرنا ذلك فى مقال سابق ـ لغة فقيرة كل الفقر فى مفرداتها ، ولا يشتمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادى ، وهى الى ذلك مضطربة كل الاضطراب فى قواعدها وأساليبها ،ومعانى ألفاظها ، وتحديد وظائف الكلمات فى جملها ، وربط الكلمات والجمل والعبارات بعضها ببعض · وأداة هذا شأنها لا تقوى مطلقا على التعبير عن المعانى الدقيقة ولا عن حقائق العلوم والآداب والانتاج الفكرى المنظم · فاستخدامها فى تدريس العلوم والآداب يؤدى اذن لا محالة الى تخلف كبير فى الثقافة العلمية والأدبية وفى التفكير العام نفسه · لأن الفكر اذا لم تسعفه أداة مواتية فى التعبير خمدت جذوته ، وضعف شأنه ، وضاق نطاقه ، واقتصر نشاطه على توافه الأمور وسفساف التأملات · فاللغة هى القالب الذى يصب فيه التفكير ؛ فكلما ضاق هذا القالب واضطربت أوضاعه ، ضاق نطاق الفكر واختل نظامه وهزل انتاجه ·

واذا امتدت بنا هذه الحال فاننا لا نلبث أن نفقد زعامتنا اللغوية نفسها على البلاد العربية · وليس من بين هذه البلاد ما هو مهيأ لأن يخلفنا فى هذه الزعامة · وفى ذلك الطامة الكبرى على الوطن العربى ·

٢ ـ **والمظهر الثانى** من مظاهر تفريطنا فى جنب العربية الفصحى يبدو فى جنوح كثير من كتابنا ـ وخاصة كتابنا الصحفيين ـ الى محاكاة الأساليب الأجنبية فى تسلسل أجزاء الجملة وربط عناصر العبارة بعضها ببعض ·

ونقول « فى تسلسل أجزاء الجملة وربط عناصر العبارة بعضها ببعض » ، لأن ما عدا ذلك من أنواع المحاكاة للأساليب الأجنبية لا ينطوى على ضرر ما للغتنا العربية ، بل قد يزيد من ثروتها وقدرتها على التعبير · فمن ذلك مثلا اقتباسنا من اللغات الأجنبية بعض تشبيهات ومجازات وكنايات لم تجر العادة باستخدامها فى عصور العربية الاولى · فقد تسرب الى أقلامنا كثير من هذه التشبيهات والمجازات والكنايات ، كقولنا « عاش ستة عشر ربيعا » و « لا يرى أبعد من أرنبة أنفه » و « يلعب بالنار » و « ذهب ضحية مبدئه » و « يصيد فى الماء العكر » و « فعل كذا بصفته حاكما » و « أعطاه صوته فى الانتخابات » و « يعرف هذا الأمر معرفة سطحية » و « لعب دورا » أو « مثل دورا هاما فى هذا الشأن» و « حرق بخور الثناء بين يديه » و « استخدمه مخلب قط » و « صب عليه جام غضبه » و « لا جديد تحت الشمس » و « ازدهرت التجارة والصناعة » و « ساد الجهل والفوضى » و « توترت العلائق بين الحكومتين » و « هذا حجر عثرة فى سبيل كذا » و « وجدنا أنفسنا أمام تحديات كثيرة » و « هذه معادلة صعبة ينبغى أن نعمل على حلها » و « مبدأ الحياد الايجابى أو السلبى » ··· ـ فمثل هذه الأساليب ، وان لم ينطق بها العرب ، جارية على سنن كلامهم فى التشبيه والمجاز والكناية · فلا بأس

من اقتباسها عن اللغات الأجنبية متى تحققت العلاقات والشروط التى جرت عادة العرب أن يعتمدوا عليها ويراعوها فى تعبيرهم المجازى والكنائى والتشبيهى ، ومتى كانت متلائمة مع الذوق العربى، ومستمدة عناصرها من أمور مألوفة فى البيئات العربية • بل ان اللغة العربية ، اذ تتمثل هذه الأساليب وتهضمها ، تزداد بها ثروة وقدرة على التعبير •

ولكن الضير كل الضير فيما يسير عليه بعض كتابنا فى العصر الحاضر ، وخاصة بعض كتابنا الصحفيين والمؤلفين فى العلوم ـ ومنهم من أصبح له اليوم شأن كبير فى عالم الصحافة ـ ، اذ تؤدى بهم محاكاتهم للأساليب الافرنجية الى الخروج عما يسير عليه الاسلوب العربى فى ترتيب عناصر الجملة ، وربطها ، بعضها ببعض ، وتنسيق أجزاء العبارة وتسلسلها ••• وما الى ذلك • فيأتون بعبارات عربية المفردات والقواعد ، ولكنها أعجمية التركيب والنظم ، حتى لنكاد نقطع بأن أصحابها قد كتبوها فى مبدأ الأمر باللغة الأجنبية ثم ترجموها بأوضاعها الأجنبية الى اللغة العربية ، أو أنهم حينما كانوا يفكرون فى موضوعاتها كان تفكيرهم نفسه يسير فى مجرى لغوى أجنبى (لأنه من المستحيل ان يسير التفكير بدون قالب لغوى) ، ثم أخذوا يدونون أفكارهم هذه بلغة عربية محتذين بها الأوضاع الأجنبية التى كانت اطارا لأفكارهم فى مبدأ الأمر •

ونحن ، لايلافنا قراءة هذه الاساليب ، نفهم المقصود منها بدون عناء كبير • ولكننا لو فرضنا ان عربيا من رجال القرون الهجرية الاولى قد نشر من قبره وسمع هذه العبارات ما فهم منها شيئا يعتد به، ولظنها رطانة أعجمية تؤدى بصوت عربى •

وهذا النوع من محاكاة الأساليب الأجنبية هو أقوى معول هدم فى بناء العربية الفصحى• فالأسلوب للغة بمنزلة الروح للجسد ، وما المفردات وقواعد النحو والصرف الا عناصرها المادية • فاذا فقدت اللغة أسلوبها فقد فقدت روحها ، ولم يبق منها الا صورة العظم واللحم والدم •

« د • على عبد الواحد وافى »

حيرة

للشاعرة : نجاة شاور ربيع

انا وحدى ارقب الليل وافكارى شريدة
أرقب الأيام والأيام تطوينى وحيدة
وانا مشدوهة من سر ايامى الجديدة
تهرب الأفكار منى يالافكارى العنيدة
ويراعى كان نايا وغناء وقصيدة
ان همست الآن فى سمعيه لحنا لن يعيده !!

❋ ❋

هاهى الأيام تمضى فى خطاها مسرعة
وانا حيرى وقلبى تائه ما اضيعه
كان يشدو بالامانى والأمانى طيعة
وبدنياه اغان نابضات ممتعة
صار لا يهتز بل أمسى هدوءا ودعة
ضاع قلبى فى خضم الكون والروح معه

❋ ❋

قد عشقت الشعر رفاقا ودنياه النضيرة
فانا استلهم الافكار مذ كنت صغيرة
وارى الدنيا شعورا وانفعالات كثيرة
همت بالأسرار بالأحلام بالنفس الكبيرة
وتغنيت بآمالى باحلامى بدنياى المثيرة
أنا بالاحساس نشوى أنا للفن أسيرة

❋ ❋

قد بسطت اليوم كفى نحو أسباب الحياة
لأقول الشعر لحنا نابضا بالأغنيات
واعيد الكون دنيا ترتوى من نبع ذاتى
كاد يطوينى شراع الكون يطوى نبضاتى
غير أن الشعر ناداني بعذب الأمنيات
فانتشت روحى وغنت بعد أن طال سباتى

الانفعال في الفن المصري

بقلم الدكتور : ابراهيم اللبان

في خريف سنة ١٩٣٢ كنت في لندن فدعيت لأول مرة في حياتي لشهود مسرحية انجليزية كانت تمثل اذ ذاك في مسرح قريب من ميدان بيكادلي فلما اخذنا مجالسنا ورفع الستار وبدا التمثيل جعلت اتتبع مواقف الرواية المتابعة بعين الناقد المتيقظ ، لا بروح المتذوق المستسلم ، ولكن مبادىء النقد التي كانت تعمل اذ ذاك في نفسي ، لم تكن المبادىء العلمية وانما كانت الأوضاع الفنية التي الفتها في مصر وخيل الي لطول الألفة انها اصول علمية عالية وان كل ما يخالفها شاذ مستنكر • ولم يطل بي المقام حتى احسست بالفروق الكبيرة التي كانت تفصل بين الفن المعروض امامي في ذلك المساء وبين الفن كما عرفته والفته في مصر •

كانت القصة تعرض علينا حادثة طريفة من حوادث الحياة الانسانية ـ كانا رجلا وامراة التقيا في عصر الشباب فتحابا وصحت عزيمتهما على الزواج ثم فرق الدهر بينهما وطال عهد الفرقة حتى انقطعت اخبار كل منهما عن الآخر • ثم حدث ان جمعت بينهما الأيام فجاة وقد علت بهما السن ، وكان الرجل قد جمع ثروة طائلة ، اما هي فكانت قد بلغت الذروة في فن التمثيل واصبح اسمها يرن رنينا في عالم الفن في جميع البلاد• وقد تعارفا دون صعوبة وهنا تنبهت العاطفة القديمة في صدر هذا الثري الأعزب وخيل اليه انه قد يكون من الممكن ان يحقق اليوم ما فاته بالأمس فخاض واياها في حديث الماضي وذكرياته حتى ايقظ في نفسها الآمال والأحلام القديمة ، ثم عرض عليها الزواج بصوت عاطفي رقيق تنطق كل نبرة من نبراته بالاخلاص وتنم عن التاثر ، وهنا نظرت اليه نظرة هادئة رانية ثم طلبت اليه ان يمهلها الى الغد لتفكر • والتقيا في الغد فكان الأمر على غير ما توقع • فقد اخبرته ان الزمن قد فات • فانها قد وهبت نفسها للتمثيل منذ اختفائه من حياتها حتى لم يبق لغيره متسع في عاطفتها او فكرها ، ثم اضافت الى ذلك انها قد قررت الآن ان تمضي في هذا الطريق الى نهايته لأنها لا تستطيع ان تعيش لغير الفن او تهتم بامر سواه •

وهنا فاه الرجل بكلمات قليلة رقيقة عبر بها عن الله واسفه لخيبة امله ثم اسدل الستار وانصرف الجمهور •

***

وما زلت الى اليوم اتذكر الآثار النفسية المختلفة التي احتشدت في نفسي في ذلك المساء في اثناء عرض المسرحية وبعد تمام العرض •

كان من بين الأمور التي اثارت دهشتي مكان الانفعال في المسرحية فقد كان مخالفا لما عرفته في مصر من وجوه متعددة • كنت اتوقع ان اسمع الأصوات العالية المتحمسة او الغاضبة او الصارخة النادبة المعولة ، فلم ار لهذا اثرا فقد مرت المسرحية من بدايتها الى نهايتها دون صياح او صراخ او بكاء واعوال • وكانت اصوات الممثلين في اثناء التمثيل عادية هادئة لا تكاد تختلف عن اصوات الشعب في حياته اليومية ، وهو شعب معروف بحرصه على ضبط انفعالاته واخفاء مظاهرها حتى لا تبدو في صوت او جارحة •

ولم يخل الجو من الانفعال ولكنه كان انفعالا هادئا عميقا لا هائجا ثائرا صاخبا • فالواقع ان مواقف المسرحية المتتابعة قد اثارت انفعالات متعددة ومتباينة • وكان اهمها واقواها هو الانفعال الذي احسست به حينما افضت اليه بما استقر عليه عزمها • فقد كان ثمة امل ، امل في شيء من السعادة لهذا الشيخ البريء التاعس • فجاء القرار مخيبا للآمال • قاضيا بان تخلو حياته الى الأبد من سعادة الحياة الزوجية التي كان يتطلع اليها ، فالحادثة بطبيعتها تثير الأسى للبطل وللنظارة ، ولكن كان هناك مصدر آخر لشعور الأسى ـ فقد كان رده يحمل في نبراته بعض ما انطوت عليه نفسه الحزينة من الام ، فزاد هذا بطبيعة الحال في الحزن الذي شعرت به في ذلك الحين •

واجمال القول انه كان هناك انفعال • وكان لهذا الانفعال مصدران وهما طبيعة الحادثة ثم صوت البطل الذي فاض منه الحزن الى الحضور بطريق العدوى الانفعالية •

والمسالة الهامة هي ان هذا الانفعال كان خاضعا لمبادىء خاصة، فلم يكن فيه شيء من الغلو والاسراف • كان في الواقع بالمقدار الذي يتطلبه الموقف ويصدر عن الرجل السوي في مثل هذه الأحوال ولم يكن فيه شيء من المبالغة المصنوعة بقصد التاثير في نفوس الحضور ورفع درجة انفعالهم ولوثتهم النفسية •

ومع ذلك فاني اذكر انني اذ ذاك احسست بانى قد فقدت شيئا الفته ، وتعودته فاحدثت غيبته فراغا في نفسي •

ولم تكن الظروف التي احاطت بالانفعال هي الأثر الوحيد الذي

تركته المسرحية فى نفسى ، فقد كان للموضوع ايضا اثر كبير جدا . فقد بعث فى نفسى طائفة من الافكار تختلف قوة وضعفا ووضوحا وغموضا . خيل الى انه كان من الخير ان ينتهى الموقف بالزواج وانه من القسوة ان تكون الخاتمة مخيبة لآمال هذا الشيخ التاعس مبددة لكل احلامه فى هذه الحقبة التى آذنت فيها شمس حياته بالمغيب .

ولكنى عند النظرة الثانية رايت من الانصاف ان اقرر ان المؤلف لم يعد الوضع الطبيعى فليس مما يخالف العادى والمألوف ان تعمد شيخة قضت حياتها الطويلة فى خدمة الفن حتى امتزج حبه بدمها ولحمها وبلغت فيه الذروة الى ايثار حياة زوجية قد اصبحت فاترة جوفاء ، وان تتخلى من اجل ذلك عن مجد فنى كبير قد احرزته بجهد شاق طويل . لا شك ان هذا الرفض وضع عادى مجار للنواميس الطبيعية .

وربما كان اروع ما كان فى المسرحية منهجها فقد كانت كغيرها من المسرحيات ـ تتكون من الحادثة ومن الانفعالات التى اثارتها مواقفها المتتالية ، وكان بينا ان المؤلف لم يتجه اتجاها مباشرا الى اثارة الانفعالات ولم يجعل من ذلك الهدف الأعلى لفنه ، بل عمد الى الموضوع فجعله هدفه الرئيسى وتوفر على تصويره وابراز معالمه والكشف عن مغزاه ، ولم يجاوز فى تصويره الأوضاع المعروفة المألوفة ، ولا تناسى القانون الطبيعى الذى تخضع له الطبيعة البشرية كغيرها من الظواهر الكونية ، فكان امينا صادقا فى تصويره . لم يكن غرضه الأول التهييج والاثارة اثارة الغضب او البكاء او الضحك ، بل غرضه تيسير الفهم ، فهم الحياة الانسانية وما تنطوى عليه من نواميس وتخضع له من قوى ونزعات فترفق فى التصوير حتى جعلنا نشعر شعورا قويا بمدى حب الفنان لفنه واستعداده للتضحية من اجله فلم ينصرف الحضور وقد بلت مناديلهم الدموع ولكن انصرفوا بفهم جديد لناحية من نواحى الحياة الانسانية وهى افتتان الفنان بفنه وحبه الجارف له وفشل الحب الانسانى اذا جاء متأخرا لمنافسته .

وليس يعنى هذا ان المؤلف قد تجاهل الناحية الانفعالية . فقد عنى بها فى حدودها فترك لموضوع المسرحية ولصوت الممثل السبيل الى التأثير فى وجدان الجمهور .

ونحن اذا استعرضنا انتاجنا الفنى والأدبى راينا امارات النهوض والتقدم واضحة بينة ، ولكننا لا نلبث ان نرى فيه ايضا انحرافات ظاهرة وان بعضها يكاد يكون من السمات العامة. وفى هذا ما يفتح باب النقد ويدعو الى اليقظة ويدفع الى النضال. وقد يكون من ابرزها الاتجاه الجامح الى الانفعال وحرص الفنان على رفع درجة الاثارة الى اعلى مستوى ممكن . ويكفى ان نشير الى بعض ما تقدمه الاذاعة من مسرحيات فان المسرحية لا تكاد تبدا حتى تظهر الشدة والحدة ثم يرتفع صراخ الممثلين الى حد يصم الآذان . وذلك ان المسرحية فى العادة تنطوى على نوع من الصراع فالعقدة التى تعترض الطريق او تثير الخلاف عنصر من العناصر المسرحية الضرورية ، فاذا اثير الخلاف بدات المناقشة واصطبغت فى الحال بالصبغة الانفعالية العالية ، ومن ثم تتعالى الأصوات ويشتد الصراخ حتى يصل الى حد الازعاج . والخلافات التى تحدث بين الزوج والزوجة او بين الأب وابنه او ابنته يكثر الآن عرضها فى الاذاعة فتنقلب فرصة لعرض مزعجات الحدة والشدة والصراخ والتشنج المصطنع الثقيل .

ويشتمل هذا الوضع على اغلاط فنية متعددة ، لعل اهمها ان الممثل والمؤلف قد اسلما قيادهما للناحية الانفعالية وخيل اليهما ان الكمال الفنى هو قوة الانفعال وشدته وحدته . وهذه فكرة خاطئة ، فليست مهمة الفن الاساسية هى اثارة الانفعال ولكن رسالته الحقيقية هى عرض التجارب الانسانية عرضا قويا مطابقا لسنن الكون من اجل الكشف عما تنطوى عليه من مبادئ واصول عامة لا لمجرد اثارة الانفعال والتهيج السخيف . واذا ما سيطرت فكرة الانفعال العنيف كانت النتيجة المحتومة ان يبادر المؤلف الى تقديم حوادث تافهة او مصنوعة ينكرها الواقع ويتبو عنها الذوق السليم ليصل بها الى ما يريد من اقصر الطرق وايسرها وانت اذا ما اصغيت الى هذه المسرحيات احسست فى الحال بسوء معالجة الموضوع فالحادثة عادية مألوفة ومكررة ليس فيها جدة او طرافة او عمق والمناقشة ضعيفة المنطق لا تلمح من ثناياها عبقرية ولا يطالعك من ناحيتها منطق قوى او حجة واضحة . وشر من هذا ان مجرى الحوادث فى المسرحية قد يكون مخالفا للقوانين الطبيعية فترى الوقائع يتلو بعضها بعضا دون علاقة طبيعية واضحة فتحس ان ناموس السببية مهمل او كالمهمل فى العلاقة بين المتقدم من الحوادث والتالى . والخطأ الأساسى هنا هو سوء التقدير واعتقاد المؤلف ان العنصر المهم فى الفن والأدب هو الانفعال لا الناحية الفكرية ، فاتخذ من فنه وسيلة للاثارة بدلا من ان يجعله وسيلة لشرح الحياة والكشف عن طبيعتنا ونواميسها الخالدة .

وقد ترتب على هذا امر آخر اشد سوءا واكثر ضررا . فالفن السليم يبسط سلطانه على الانفعال فيلزمه حدوده الطبيعية ولا يسمح له ان يتخطاها والحد الطبيعى هو الذى تفرضه طبيعة الحوادث ، فهى التى يجب أن تحدد المقدار العادل لانفعالات القصة والمسرحية . ولكن الفن الانفعالى لا يستطيع ان يخضع لهذا الأصل الفنى السليم . فانه لو نزل على حكم الوقائع لما سنحت له الفرصة للاثارة العالية المسرفة التى يعدها رسالة الفن الحقيقية ومن ثم يتعامى عن المقدار الذى تفرضه طبيعة الأمور ويأخذ فيما قصد له من اثارة وتهييج . فيسلمه ذلك الى اغلاط اخرى . منها الغلو والاسراف فى تصوير الحوادث واعطائها صورة مصطنعة لا تتفق وطبيعة الوجود .

وفى هذا الاتجاه الفاسد يعاونه الممثل. فالمؤلف انما يتحدى الى الناس فى المسرحية الممثلة بصوت الممثل ولسانه . وهنا نرى الممثل وقد تملكه الاعتقاد بان واجبه الأول هو ان يكون صوته محملا باكبر قسط من الانفعال الصاخب فيصرخ صراخا عاليا فى مواقف الغضب ويبكى ويعول فى مواطن الحزن ويبلغ فى ذلك حد الاسراف المرذول .

ان الفن الانفعالى يضع يده على مصادر التأثير الوجدانى فى المسرحية والقصة وهى طبيعة الحادثة وصوت الممثل لأنه يعرف ان الحوادث وصورها مثيرات طبيعية للانفعال وان الانفعالات معدية فيكفى ان تظهر امارات الانفعالات فى وجه الممثل وصوته حتى تسرى عدوى الانفعال الى الجمهور كله او بعضه . وهو عادة يستغل هذه النواميس الطبيعية اسوأ استغلال فيغلو فى تصوير

الحوادث العادية ويرسل من فم الممثل اصواتا عالية مدوية يستعين بهذه وتلك على رفع درجة الانفعال الى اعلا حد مستطاع.

ولهذا المنهج البدائى آثار شتى غير حميدة فهو فى ناحيته السلبية يؤدى الى اغفال العناية بالحوادث والأفكار فلا يعنى المؤلف باختيار الحادثة التى سيجعلها موضوع مسرحيته ولا ينال عرضها من الاهتمام ما يستحقه ، وهنا تظهر فى المسرحية اعراض الضعف الفنى فى صور شتى . وشر ما يظهر من ذلك خلو الحوار من المنطق الدقيق .

وسوء ترتيب الحوادث بعضها على بعض وهذا يضعف الاقناع العقلى ويحول بينها وبين النجاح فى تحقيق اغراضها الثقافية او الاصلاحية . وما كان لها ان تؤدى رسالتها وقد عجزت عن الاقناع .

الاهتمام بالانفعال الذى ينطوى فى كثير من الأحيان على التضحية بانبل الأهداف واسماها ويحدث ذلك حينما توجه الجهود التى كان يجب ان تبذل فى خدمة الموضوع الى التفنن فى اختيار وسائل الاثارة والدقة فى توجيهها الى وجدان الجمهور .

ويتفاقم الفساد حينما تقحم وقائع اجنبية عن الموضوع فى بنية المسرحية لمجرد الرغبة فى رفع درجة التهيج النفسى دون ان تكون لها رابطة ظاهرة بما يسبقها او يعقبها من تطورات . هذا المسلك بالاجمال يغفل الناحية الفكرية بل يشوهها تشويها فعليا لمصلحة الناحية الوجدانية . وليس بين كبار ائمة النقد من يوافق على ادخال الحيف على الناحية الفكرية بوجه من الوجوه كائنا ما كان السبب .

والواقع انه منذ ان قرر ارسطو فى كتاب الشعر ان صميم المسرحية هى المحاكاة ، محاكاة الطبيعة ، لم يستسغ احد من فلاسفة النقد تناسى الأوضاع الطبيعية فى التصوير الفنى وان رفض اكثرهم المحاكاة الفتوغرافية الدقيقة .

وربما كان اعجب الآثار التى تترتب على المسلك الانفعالى المتطرف هو اخفاقه فى تحقيق هدفه فان الجو المصنوع لاثارة الانفعال الجامح يبدو فى العادة مفتعلا سخيفا لا طبيعيا جميلا فيعجز لهذا السبب عن اثارة الانفعال المنشود . بل الواقع انه يثير فى كثير من الاحوال نوعا من الضجر والتقزز . وما كان لهذه الأصوات العالية المزعجة ولهذا الصخب والضجيج والتظاهر المكذوب بالدهشة او السرور ان يحدث غير ذلك . ان الاخلال بالقوانين الطبيعية تنتظره العقوبات الطبيعية فالانفعال الذى لا يتناسب وطبيعة الموقف الذى اثاره فى درجته وقوته يبدو مضحكا لا مثيرا ، او مملا مزعجا لا مؤثرا جميلا .

ولعل اخطر ما فى نزعة الانفعال اثرها التربوى . فقد كان من اسباب عداء افلاطون للفن انه يزيد من استعداد الفرد والشعب للانفعالات وهذا ضار بالحياة العقلية وهى الحياة الانسانية الصحيحة ويؤدى فى النهاية الى تكوين شعب انفعالى تحكمه انفعالاته لا عقوله .

وفى اعتقادى اننا احق الناس بتقدير هذه الفكرة الافلاطونية فالاستعداد للانفعالات ليس ضعيفا فى الأمم الشرقية ، ولا بد لنا من مقاومة هذا الاستعداد والا افسد علينا حياتنا . ومن ثم كان من واجبنا الا نسمح للفن ان يثابر على اثارة الانفعالات الجامحة فان هذا يزيد الاستعداد الانفعالى قوة ويجعله حالة عارمة وينتقل اثره الى الحياة اليومية فتتحكم فيها الانفعالات بدل الأفكار والمبادىء . وهذه شر ضروب الحياة .

والحق انه لا بد من الخضوع للمثل الأعلى الفنى وتوجيه الفن عندنا فى ضوئه وعلى هداه . وربما كان من اهم المبادىء التى يجب التذكير بها الآن هو الخضوع الكامل للمبدأ الذى يقضى بتوجيه الاهتمام الأكبر الى الموضوع ـ الى دقة اتقانه واحكام عرضه وسداد منطق المحاورة وسلامته .

يجب ان تكون وجهتنا المباشرة عقل الجمهور لا وجدانه . فنحاول ان نرى الناس من حقائق الحياة ما لا يرون وما اكثر ما تحجبه عنا شئون الحياة من حقائق ومبادىء . فلنتجه بالفن اذن الى الكشف عن هذه الحقائق وتقديمها الى الجمهور لتثقيفه وتوجيهه وهدايته الى قصد السبيل . وفى الحياة الانسانية مجال فسيح للفنان الذى يؤمن بان مهمته ثقافية قبل كل شىء . وما اكثر ما فى الحياة المصرية الحديثة من مشكلات تحتاج الى معالجة الفنان القدير واسلوبه الحكيم فى تحليلها والاقناع الى حلولها .

د . ابراهيم اللبان



حيرة مع الأشباح

للشاعر : محمود محمد سالم

خيم الصمت والظلام واغفى   كل شيء وراح في الأحلام
واستراحت على أكف الأماني   عبرات تفيض بالآلام
فترات لخاطري اشباح   راقصات الرؤى وراء الظلام
تبعث الروع والمخافة في نفسي   وتحيي ما مات من ايامي
في دجى مطبق وصمت رهيب   ذكرتني الأشباح احلام امسي
امسي الذاهب الموشح احلا   ما حسانا ملففا في دمقس
كنت كالروض في الربيع ضحوكا   حالما اسكر السرور بكاسي
ثم جاء الخريف فاقتلع الرو   ض والقى بالورد في مخالب نحسي
لاتثيري بالله أيتها الأشباح   خيالي ولا تهيجي حنيني
اتركيني اسلو وانسى جراحا   ت فؤاد معذب في السنين
اتغنى كما اشاء وابكى   حيثما شئت بالأسى المدفون
هانا في الحياة طيف غريب   يتلاشى في زحمة الأحياء
تائه الخطو مثقل بقيود   كبلته بها أكف القضاء
سخر الناس منه حين راوه   في ذهول يطل نحو السماء
ليتني كنت يا الهي جمادا   ليتني لم أكن من الشعراء
انا احيا في عالم من خيال   عبقري الرؤى بديع الجمال
انا اهفو مع النسيم واسرى   في اعالي الربى وفوق الجبال
وبروحي اعيش حرا طليقا   اتخطى بالروح كل محال
فلماذا يارب احيا حزينا ؟   الأني اعيش بين الخيال
انا يارب في الوجود غريب   قلق الروح عاثر الخطوات
هائم في الظلام التمس النور   بقلب محطم الأمنيات
ظامىء غره السراب فلما   طلب الماء ضاع في الفلوات
انا من مله الشقاء على الأرض   وضاق الفضاء عن حسراتي
قد وهبت الحياة للفن والشعر   وصوغ النشيد والألحان
اقطع الليل ساهرا اتملى   في جمال الوجود والأكوان
تتهادى امام روحي ظلال   وطيوف تهيم في وجداني
ضل بين الخيال فكري وتاهت   نظراتي في واقع الأيام
كم ليال ابيتها اتغنى   وسنين قضيتها في سقام
بين قوم لا يفقهون نشيدي   لا ولا يعرفون معنى كلامي
هكذا عشت في الحياة غريبا   شاعري الاحساس في آلامي
انني انشد الفضيلة والحق   واهفو لكل شيء جميل
انشد العيش رحمة تسع النا   س وعدلا في قاتل وقتيل
سخر الناس من نشيدي وقالوا   انه لحن شاعر مخبول
حسبي الله : انني في حمى   الله اغنى في شاطىء مجهول

وحدة الدم العربي في مصر

بقلم الدكتور : احمد محمد الحوفي

تلك الدماء العربية التى سرت فى العراق والشام منذ زمن بعيد قبل الاسلام ، ثم كانت أعظم سريانا بعد الاسلام ، طبعت الاقليمين بطابع العروبة الذى لاطابع لهما سواه .

فهل كان الحال كذلك في مصر ؟

نعم : واذا كان هذا الطابع الذى تميز به العراق والشام لم يظهر واضحا فى مصر قبل الاسلام كما ظهر فى العراق والشام ، فليس السبب انقطاع العلاقة بين جزيرة العرب ووادى النيل ، بل مرجعه الى بعد الوادى عن الجزيرة ، لان علاقة العرب بوادى النيل قديمة جدا ، اذ كانت موجات الهجرة تفد الى مصر عن طريق سيناء وبرزخ السويس ، وتفد الى السودان عن طريق باب المندب .

وقد كان بعض الهجرات الى مصر سلميا ، لايتم الا باذن حاكم مصر ورضاه ، حينما كان حكامها أقوياء ، وفى الكتابات القديمة اشارات الى هذه الهجرات وتلاحقها .

وكان بعضها ممثلا فى جموع كثيرة مغيرة ، مثل الهكسوس ، وهم الذين سماهم المصريون (شاسو) أى البدو ، وكانوا يتنقلون فى بادية مصر الشرقية بين النيل والبحر الاحمر ، كما يتنقل بدو العصر الحاضر ، وكانت لهم فى سيناء وما يليها سيادة وحكومة من أقدم أزمنة التاريخ . ثم سنحت لهم فرصة وثبوا فيها على مصر وامتلكوها ، وعرفت دولتهم بدولة الشاسو أو البدو ، واليونان سموهم هكسوس، والعرب سموهم العمالقة أو العرب البائدة وهم الذين أخرجهم أحمس من مصر حوالى سنة ١٥٨٠ ق.م بعد أن حكموها نحو قرن ونصف قرن. وقيل انهم قدموا الى مصر فى أوائل القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد ، وما زالوا بها الى أوائل القرن الثامن عشر ، فقضوا فى مصر نحو خمسة قرون .

ولقد يقرب مسافة الخلاف أن الهكسوس لم يغزوا مصر دفعة واحدة ، بل كان غزوهم تدريجيا ، واكتسبوا قوته بمرور الزمن ، حتى حكموا مصر سنة ١٧٣٠ ق.م . ولما طردهم أحمس الاول لم يزل نفوذهم الثقافى من مصر ، بل استمرت ثقافتهم تطبع الحياة المصرية بطابعها الخاص الى مدة من عهد الاسرة الثامنة عشرة .

والراجح أنهم عرب ، كما قرر ذلك يوسيفوس المؤرخ الاسرائيلى المتوفى أواخر القرن الاول للميلاد نقلا عن مانيثون المؤرخ الاسكندرى المتوفى فى أواسط القرن الثالث قبل الميلاد .

ودليل آخر أن العرب يسمونهم فى كتبهم العمالقة .

ثم ان لفظ هكسوس أصله (هيك شاسو) وكان يظن أن معناه ملوك الرعاة ، حتى تبين أن معناه ملوك البدو أو البادية ، وهم العرب .

وقد جاء فى الآثار المصرية القديمة ان الهكسوس وفدوا من بلاد العرب قديما .

ولقد كانت علاقة مصر بالفينيقيين ــ وهم عرب كما سيجيء ــ قديمة جدا، ترجع الى الاسرة الثالثة حوالى ثلاثين قرنا قبل الميلاد ــ اذ كانوا ينقلون الى مصر خشب الارز من جبال لبنان ، ويعودون الى بلادهم بحاصلات مصر ومصنوعاتها .

ثم فتح بلادهم تحتمس الثالث (١٤٧٩ ــ ١٤٤٧ ق.م) فصارت جزءا من الامبراطورية المصرية الى أن خرجت عليها مع سورية وفلسطين فى عهد اخناتون (١٣٧٥ ــ ١٣٥٨ ق.م) .

ومع ذلك فان علاقة الفينيقيين بقيت موصولة بمصر ، وكثر وفودهم اليها ، واستقروا في كثير من مدنها وقراها ، وبخاصة في مدينة منف ·

ويذكر هيرودوت وبلينيوس ان الاقسام الشرقية من مصر وخصوصا المتصلة بطور سيناء كانت مأهولة بقبائل عربية قبل زمنهما · ويذكر ديودور أن العرب كانوا يسكنون في المنطقة التي بين سورية ومصر ، وفي الارض الشرقية من مصر المطلة على البحر الاحمر ، وأنها كانت آهلة بهم في أيامه ومن قبله · وقد أشار استرابون الى هذه الحقيقة ·

وتفند الكتابات العربية المعينية التي عثر عليها ، واقوال المؤرخين القدماء أن صلات العرب بمصر لا ترجع الى الفتح الاسلامي ، بل ترجع الى ماقبله بزمن سحيق · على أن العرب كانوا يتجرون مع مصر ، وكان رعمسيس الثالث (١٢٠٠ ق·م) ورعمسيس الرابع قد سهلا طرق القوافل بين بلاد العرب ومصر

ولهذا كثر العرب في قفط ، وذكر استرابون ان نصف سكانها كانوا في زمنه (القرن الاول قبل الميلاد) من العرب ، لان مصر ضعفت بعد دولة الرعامسة ، وطمع فيها جيرانها ، وتوافد اليها العرب بانعامهم ، وسطوا على مدنها كما فعلوا من قبل ، ونزلوا قفط وملكوها قرونا ·

ولم تكن قفط وحدها هي المعمورة بالعرب ، بل كانت مدن كثيرة في صعيد مصر حافلة بهم منذ زمن استرابون الى القرن الاول بعد الميلاد ·

ولم ينقطع هذا الاتصال ، حتى ان قبيلة حوتكة نزلت بمصر في العصر الجاهلي بعد نزاع بينها وبين غيرها ·

لذلك كله عثر الباحثون في اللغة المصرية القديمة على ألوف من الكلمات العربية ، وألف المرحوم أحمد كمال معجما كبيرا في ذلك ، مازال مخطوطا ·

كذلك تبين من الآثار والنقوش التي عثر عليها حديثا أن الأنباط كانوا على صلات وثيقة بمصر ·

ولما تم فتح الشام تفرق كثير من عرب غسان وعاملة وجذام ، وكانوا قد تنصروا ، ونزل بعضهم بشمالي سيناء بين مصر وفلسطين ، واقطعهم حاكم مصر الروماني ولاية تنيس (صان الحجر) ، وهم الذين انضموا الى الروم والقبط في مقاومة فتح دمياط ·

وحينما افتتح المسلمون مصر أقام بها جنودهم ، وتكاثر الوافدون اليها من العرب،وتتابعت هجراتهم، واشتد اختلاطهم وامتزاجهم بمن أسلموا من أهل البلاد ·

ويكفي أن نذكر من هذه الهجرات الجماعية ـ غير الجنود الذين اقاموا بمصر ، واستوطنوها ـ عدة نماذج :

١ ـ جموع الامويين وانصارهم الذين فروا الى مصر خوفا من تنكيل العباسيين بهم ، ومنهم دحية بن مصعب الأموى الذى ادعى الخلافة سنة ١٦٦ هـ ، وانضم اليه أكثر سكان الصعيد ، وهزموا جيش الحكومة ·

٢ ـ عرب الحوف ، وهم جموع من قبيلة قيس ، كان سبب قدومهم الى مصر ، أن عبيد الله بن الحبحاب عامل هشام بن عبد الملك على خراج مصر ، كان من موالي قبيلة سلول القيسية ، فكتب الى الخليفة أن القيسية قلة بمصر ، مع أن الخليفة شرفهم ، ورفع من ذكرهم ، واستأذنه في أن ينقل الى مصر جموعا منهم · ليساعدوا على نشر الاسلام ، فأذن له الخليفة، فبعث الى نجد يستحث أفواجا منهم الى الهجرة ، فقدم أول الامر ثلاثة آلاف ما بين سنة ١٠٩ هـ و ١٠٤ هـ (٧٢٧ ـ ٧٣٢م)وانزلهم عبيد الله بالحوف الشرقي ، ولهذا سموا عرب الحوف ·

ولما علم اخوانهم بطيب مقامهم وتحسن حالهم وفدوا اليهم من البادية على دفعات ، حتى ان عددهم في آخر عهد هشام بن عبد الملك ، بلغ ألفا وخمس مئة ، وصار في آخر العصر الاموى ثلاثة آلاف ·

ثم قدم عليهم كثير من قومهم حتى بلغ عددهم في سنة ١٥٣ هـ (٧٧٠ م) خمسة آلاف ومئتين ·

وما زالوا يتكاثرون بالولادة وبالقدوم عليهم حتى صاروا خطرا على ولاة مصر ·

وليس أدل على كثرة عددهم من أنهم ثاروا على الولاة مرات فيما بين سنة ١٧٨ و ٢١٧ هـ (٧٩٤ و ٨٣٢ م) ، ثم أخلدوا الى السكينة وانتشروا بالدلتا ، وامتزجوا بالأهلين امتزاجا تاما ·

٣ ـ جموع من بني هلال ومن بني سليم ، استقدمهم الى مصر الخليفة الفاطمي العزيز بالله سنة ٣٦٥ ـ ٣٨٦ هـ (٩٧٥ ـ ٩٩٦ م) وأنزلهم بالصعيد شرقي النيل ، ثم استنفرهم الخليفة الفاطمي المستنصر سنة ١٠٣٦ ـ ١٠٩٤ م للحملة على المعز بن باديس ،

وبقى بعضهم فى مصر مثل بنى عقبة باسنا وأسوان، ثم عادت هجرات منهم الى مصر ، منها الهنادي والبراغيث الذين وفدوا على مصر فى القرن الثامن عشر .

وكذلك استقدم الفاطميون قبيلة سنبس ، وهم من طيىء ، كانوا ينزلون بفلسطين وكثروا هناك ، واشتدت وطأتهم على الولاة ، فاستقدمهم اليازورى وزير الخليفة المستنصر ، فجاءوا الى مصر سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م) ، واقطعهم البحيرة التى كانت بأيدى قبائل عربية أخرى ، وصار لهم شأن أيام الفاطميين بالجيزة حول سقارة، والامرة فيهم الآن لا عصر القلقشندى ٧٥٦ - ٨٢١ هـ) للخزاعلة فى بني سويف ، ومقرهم فى مدينة سخا بالغربية .

وقد اقامت هذه القبائل فى مصر واندمجت بالسكان فى الصعيد والدلتا ، واحترفت الزراعة والرعى والتجارة .

فلما قطع الخليفة العباسى المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) مرتبات الجنود التى كانوا يتقاضونها من خزانة الدولة اضطر الجنود الذين كانوا بمصر أن يكسبوا أرزاقهم من الزراعة والتجارة ، فنشأ عن هذا تفرقهم فى أصقاع مصر ، وازدياد امتزاجهم بالاهلين ، كما امتزج القيسيون وغيرهم من قبلهم .

ولا تزال درارى هذه القبائل العربية منتشرة بمصر الى اليوم ، مثل أولاد على بمحافظة البحيرة ، والمعازة بالصحراء الشرقية ، والحرابى بمحافظة الفيوم ، والحويطات بالمطرية ، وجهينة بالصعيد ، والحوفية بمحافظة البحيرة ، وكثير من امثالها تحتفظ باصولها وانسابها العربية .

« د . احمد محمد الحوفى »

صغيراى

للشاعر : محمود جبر

بلبلا آيكتى وماء غديرى
وهزارى ومزهرى وعبيرى

ودعائى لدى الصلاة وحمدى
وابتسامى ونشوتى وحبورى

كل حين يساق فيه حديث
عن صغير اخال فيه صغيرى

انتما الروض والظلال وهمس
بين قلبين فى حنايا الصدور

ان تنوحا فكل كونى دموع
او تسرا فانه من سرور

فى الشتاء المطير يرقد طفل
فى ثنايا الطريق فى الزمهرير

فاناجى السماء .. طفل كطفلى
لفه الليل بالشقاء المرير

لست هذا الغنى يا رب فارحم
خالى الكف من عذاب الضمير

لا ترع بالعقاب مثلى فمثلى
جاد بالدمع والأسى والزفير

رب انى بعثت شعرى زكاة
وصلاة وقربة عن طيورى

من مسرح اللامعقول : عريس لابنتي

تأليف ليوجين يونسكو

ترجمة : أنيس منصور

الشخصيات :

السيد ...

السيدة ...

الآنسة ...

وترتدى السيدة قبعة مزدانة بالزهور وفستانا طويلا وجاكتا ضيقة حمراء ومعها شنطة يد . والسيد يرتدى بدلة فراك وله ياقة عالية منشاة وكرافتة سوداء وله لحية بيضاء .

والاثنان يجلسان على مقعد فى احدى الحدائق العامة .

السيدة : دعنى أحدثك عن ابنتى . انها مجتهدة فى دروسها .

السيد : لم اكن اعرف . ولكنى لا أستبعد ذلك . لقد عرفت عنها انها فى غاية الذكاء..

السيدة : وليست عندى اية أسباب للشكوى مثل كثير من الأمهات . فنحن راضون عنها تمام الرضى .

السيد : الفضل كله يرجع لك . لقد ربيتها تربية ممتازة . والعثور على طفل نموذجى هذه الأيام شىء نادر .

السيدة : تمام .

السيد : لقد كان الاطفال على أيامى أكثر طاعة لآبائهم وأكثر التصاقا بهم . كما انهم كانوا يقدرون التضحيات التى يبذلها الآباء . ويفهمون مشاكلهم المادية ومتاعبهم عموما .. وان كان من الافضل فى بعض الاحيان الا يعرفوا شيئا من هذا .

السيدة : تمام . كما انهم كانوا اكثر .

السيد : كانوا اكثر عددا .

السيدة : تمام . ويبدو أن نسبة المواليد فى فرنسا آخذة فى الانخفاض .

السيد : هذه النسبة تعلو وتنخفض . ولكن يبدو انها آخذة فى الارتفاع هذه الايام، وان كانت هناك سنوات فى غاية الانخفاض .

السيدة : تمام . ما أصدقك . تصور .

السيد : فما الذى نتوقعه ؟ انه من الصعب الاتيان بأطفال فى الوقت الحاضر .

السيدة : أكيد انها مسألة صعبة . وأنا أعرف ذلك جيدا . ان الاتيان بالاطفال يكلف الكثير وتربيتهم تكلف أكثر . الى جانب ما يحتاجون اليه من أشياء وأشياء ، فهم يحتاجون الى كل شىء !

السيد : والنتيجة ؟ اليوم أصبحت حياة الانسان هى أرخص شىء !

السيدة : أوه .. تمام . كلامك مضبوط جدا . انت على حق تماما .

السيد : ففى العالم زلازل وحوادث سيارات وآلات أخرى كثيرة كالطائرات والامراض الاجتماعية والانتحار والقنبلة الذرية .

السيدة : لا تحدثنى عن هذه الأشياء الكريهة ! .. انها هى التى غيرت الجو، لقد ارتبكت فصول السنة . فلم نعد نعرف ان كنا فى الصيف أو فى الشتاء . وليت هذا فحسب . بل هناك أشياء كثيرة أغرب من هذا . بل تعرف ماذا يقول الناس ؟

السيد : انهم يقولون الكثير .. فهل تصدقين كل ما يقال !

السيدة : طبعا لا .. طبعا لا .. والا فلا نهاية لما يقال .. ثم الصحف .. الصحف كلها أكاذيب فوق أكاذيب .

السيد : فى هذه الايام ياسيدتى اعمل مثل . لا تثق فى أحد . ولا تؤمن بشىء، ولا تدع أحدا يفسد رأسك بالكلام الفارغ !

السيدة : انا أوافقك تماما . وانت أحسن لك أن تبعد عن الناس وانت عندك رأسك فوق كتفيك ضعه فى مكانه . واعمل ما يعجبك . ان كلامك مضبوط . تمام .

السيد : طبعا .. اننى أستخدم عقلى .

السيدة : تمام . ولكن ليس هذا حال كل الناس .

السيد : هذه الايام يا سيدتى ، رغم كل هذه التسليات والمتع المختلفة من سينما وفونوغرافات ومكتبات وتليفونات وراديوهات ورحلات بالطائرات ومحلات كبيرة .

السيدة : نعم .. صحيح ..

السيد : .. والسجون والشوارع الكبيرة والضمان الاجتماعى . وغيره .

السيدة : تمام ..

السيد : كل هذه الاشياء التى هى أجمل ما فى الحياة الحديثة . قد غيرت النساء

والرجال لدرجة انه من الصعب أن تعرفهم أو تفرق بينهم .

السيدة : لم تعرهم الى الأحسن . بل الى الأسوا . كلام مضبوط .

السيد : ومع ذلك لا تستطيع ان تنكر التقدم والتطور . فالدنيا تتقدم يوما بعد يوم .

السيدة : ما أصدقك ! تمام .

السيد : ... في التكنولوجيا وفي العلوم التطبيقية وفي الميكانيكا والادب والفن .

السيدة : طبعا . ويجب أن يكون الانسان منصفا . فليس من الذوق ألا يكون الانسان منصفا .

السيد : بل ان في استطاعتك أن تقول ان الحضارة الانسانية مطردة التقدم وفي الإتجاه السليم . وذلك بفضل الجهود الموحدة لكل الشعوب .

السيدة : تمام . كنت أقول هذا .

السيد : لقد قطعنا شوطا طويلا منذ أيام أجدادنا الذين كانوا يعيشون في الكهوف ويلتهم بعضهم البعض ويتغطون بجلود الحيوانات .. فما أطول هذا الطريق الذي سرنا فيه ..

السيدة : فعلا .. ما أطول هذا الطريق.. والتدفئة ؟ والتدفئة في البيوت يا سيدي ؟ هل كانت لديهم تدفئة داخلية ؟

السيد : عندما كنت طفلا صغيرا ياسيدتي.

السيدة : أيام جميلة أيام الطفولة هذه .

السيد : كنت اعيش في الريف . وكانت الشمس هي التي تبعث فينا الدفء صيفا وشتاء . وكنا نضيء بيوتنا بمصابيح الزيت . ولم يكن الزيت غاليا كهذه الايام . واحيانا كنا نستخدم الشموع .

السيدة : وهذا يحدث اليوم ايضا عندما ينقطع التيار .

السيد : والآلات أيضا لم تعد دقيقة . ان هذه الآلات قد اخترعها الانسان فأخذت منه كل عيوبه !

السيدة : لا تحدثني عن عيوب الانسان ! يا الهي.. انني أعرف هذه العيوب والاخطاء. فالرجال ليسوا أحسن حالا من النساء . انهم سواء .

السيد : طبعا : ولماذا لا نتوقع من الانسان أن يعمل شيئا لا تقوى عليه الآلة .

السيدة : أعترف لك انني لم افكر في هذا قط .. ولكن اذا فكرت في الحقيقة . فلم لا؟

السيد : يا سيدتي ان مستقبل الانسانية في المستقبل ! وهذا على عكس الحيوانات والنبات .. ولكن يجب ألا ننظر الى الآلة على انها آلة . وانها هي المسئولة عن التقدم دون ان نبذل نحن من جانبنا أي مجهود ! . على العكس يا سيدتي .

السيدة : لم اقل اننا يجب ألا نبذل أي مجهود .

السيد ـ اقصد انه على العكس من هذا كله فالانسان هو احسن آلة بشرية ! انه الانسان الذي يتحكم في الآلة . لأن لديه عقلا .

السيدة : تمام . انت قلتها .



السيد : والآلة لا تزيد عن كونها آلة .. فيما عدا الآلة الحاسبة . التي تحسب من تلقاء نفسها ..

السيدة ـ صحيح فيما عدا هذه الآلة التي تحسب من تلقاء نفسها . تمام . كلامك مضبوط .

السيد ـ انها الاستثناء الذي يؤكد القاعدة نحن من لحظات كنا نتكلم عن الزيت وعن الشموع . في ذلك الوقت كان ثمن البيضة مليما لا أكثر من مليم .

السيدة ـ مستحيل الا يزيد ثمنها عن مليم .

السيدة ـ صدقني أو لاتصدقني !

السيدة ـ لا أشك في كلمة واحدة مما تقول !

السيد ـ وكان من الممكن أن يتناول الانسان عشاءه بعشرين مليما ، فلم يكن الطعام يكلف شيئا في ذلك الوقت .

السيدة ـ الدنيا تغيرت الآن !

السيد ـ وكان في استطاعتك أن تشترى زوجا من الاحذية ومن جلد ممتاز ، بثلاثين قرشا .. والشبان اليوم لايعرفون معنى هذه الاسعار في تلك الايام !

السيدة ـ الاغنياء فقط هم الذين لا يعرفون ! ان هذا الجيل الجديد في غاية المقرف .

السيد ـ اما هذه الايام فقد ارتفع سعر كل شيء الوف المرات ، فكيف بعد هذا كله تقول ان الآلة هي اختراع سعيد ، وان التقدم هو احسن شيء ؟

السيدة ـ طبعا لا .

السيد ـ ربما قلت ان التقدم حسن أو ردىء كاليهود والالمان والافلام .

السيدة ـ لا .. أنا لاأقول شيئا من هذا .

السيد ـ ولم لا ؟ في استطاعتك أن تقول اذا شئت ، فهذا من حقك أليس كذلك ؟

السيدة ـ طبعا من حقي !

السيد ـ انني أحترم حق كل انسان في ان يكون له راى .. ان افكارى عصرية جدا فقد كانت هناك ثورة فرنسية وحروب صليبية ومحاكم تفتيش، والامبراطور غليوم والبابوات والنهضة ولويس الرابع عشر .. كل هذا لم يكن من أجل لاشيء ! فقد دفعنا الثمن غاليا من أجل ان يكون للانسان الحق في ان يقول كل ما يجيء في رأسه دون أن يسخر منا الناس .

السيدة ـ فعلا دفعنا الثمن غاليا . ان هذه الارض هي وطننا . ولا نريد من أحد ان يجيء الينا ويقلب حياتنا .

السيد ـ وجان دارك ؟ هل خطر على بالك ما الذي كان يمكن أن تقوله جان دارك لو بعثت حية ورأت كل هذا الذي حدث ؟

السيدة ـ لقد سألت نفسي هذا السؤال كثيرا جدا ٠

السيد ـ الراديو ! وهي التي اعتادت أن تعيش في كوخ ، من المستحيل أن تعرف كل هذه التغيرات الحديثة !

السيدة ـ من المستحيل أن تعرف هذه الأشياء لو قدر لها أن تبعث حية مرة أخرى !

السيد ـ ولكن ربما عرفت بعد ذلك !

السيدة ـ تمام ٠٠ ربما عرفت بعد ذلك ٠

السيد ـ عندما يفكر الانسان في أن جان دارك أعدمها الانجليز الذين أصبحوا حلفاءنا بعد ذلك ٠

السيدة ـ ومن الذي ينسى هذا ؟

السيد ـ وان كان هناك بعض الانجليز الطيبين ٠٠٠

السيدة ـ ولكن أغلبهم من الأشرار !

السيد ـ ولكني لا أعتقد أن أهل كورسيكا أحسن حالا ٠

السيدة ـ لا أقصد هذا !

السيد ـ على الاقل انهم يؤدون عملا محددا لمعظم موزعي البريد في فرنسا من أبناء كورسيكا ، فمن الذي يأتي لنا برسائلنا اذا لم يكن هناك موزعون للبريد ؟

السيدة ـ انهم شر ضروري ٠

السيد ـ الشر ليس ضروريا !

السيدة ـ ما أصدقك ! تمام ٠

السيد ـ لاتظني أنني أحتقر مهنة موزع البريد ٠

السيدة ـ كل مهنة لها مزاياها ٠

السيد ـ (وقد نهض على قدميه) سيدتي ، هذه ملاحظة عميقة ، يجب أن تصبح حكمة ! اسمحي لي أن أهنئك (ويقبل يدها) وهذا هو نيشان الشرف (ويضعه على صدرها) ٠

السيدة (مضطربة) ـ سيدي ! انني لست الا امرأة !

السيد ـ الصدق يخرج من أي عقل ٠ ٠

(يجلس) سيدتي ، لقد وضعت أصبعك على الرذيلة الاساسية في مجتمعنا هذا الذي أحتقره تماما ، وان كنت لا أنفصل عنه ٠

السيدة ـ يجب الا تنفصل عنه ٠

السيد ـ مجتمعنا ياسيدتي لم يعد يحترم اية مهنة ، ويكفي أن تنظري الى أبناء الريف وكيف يزحفون على المدن ٠

السيدة ـ تمام ٠

السيد ـ عندما لايكون هناك احترام لمهنة لايكون هناك احترام للطفل ، والطفل هو ابو الرجل ، وأرجو أن يكون كلامي واضحا ٠

السيدة ـ واضح تماما ٠

السيد ـ وربما يكون الطفل قد نسي هو أيضا كيف يكسب احترام الآخرين ٠

السيدة ـ ربما ٠

السيد ـ ومع ذلك يجب أن تحترم الطفل لأنه اذا لم يكن هناك أطفال انقرضت الانسانية ٠

السيدة ـ هذا ما فكرت فيه ٠

السيد ـ وفقدان الاحترام لشيء يؤدي الى عدم احترام شيء آخر ، وفي النهاية لاتحترمين كلمتك ولا أي وعد تقطعينه على نفسك ٠

السيدة ـ هذا شيء رهيب ٠

السيد ـ ويصبح هذا الأمر بالغ الخطورة عندما يكون من رأيك أن الكلمة شيء مقدس تماما ككلمة الله ، وليس من حقنا أن نستخف بها !

السيدة ـ أوافقك تماما ، وهذا بالضبط ما أريد أن أتأكد منه ، فابنتي متعلمة ، وعندها مهنة محترمة وفي استطاعتها أن تقف على قدميها وتكسب قوتها بيدها وتحترم الآخرين بأن تبدأ باحترامها لنفسها ٠

السيد ـ لقد كنت في غاية الحكمة ـ فما الذي تصنعه ابنتك ٠

السيدة ـ لقد قطعت مرحلة طويلة من تعليمها ، وكان من أمنياتي أن أجعلها تعمل على الآلة الكاتبة ، وكان هذا أملها أيضا ، وحصلت على الشهادة ، وستلتحق بوظيفة في احدى الشركات ٠

السيد ـ لابد انها سعيدة وفخورة بنفسها؛

السيدة ـ انها ترقص طربا ليلا ونهارا ، لقد تعبت كثيرا هذه الابنة المسكينة ٠

السيد ـ ولكنها الآن لقيت خير الجزاء على عملها المرهق ٠

السيدة ـ ولم يبق امامي الآن الا أن أجد لها عريسا !

السيد ـ هذا سهل انها فتاة جميلة ٠

السيدة ـ (تتلفت حولها) وهذه هي ابنتي انها قادمة ، سأقدمها لك ٠

(وتدخل ابنة السيدة ، انها رجل في الثلاثين من عمره ، قوي ، وفي غاية الرجولة وله شارب أشعث ويرتدي بدلة رمادية ؟ ٠

الآنسة : صباح الخير ياماما !

(صوتها له نبرة عالية ، صوت رجل ، وتتقدم الآنسة الرجل وتقبل أمها)

السيد ـ الخالق الناطق انت ٠٠ انها صورة منك !

السيدة (لابنتها) ـ اذهبي وسلمي على السيد المحترم ٠

الآنسة (في خجل) صباح الخير يا اونكل!

السيد ـ صباح الخير ياحبيبتي (وللسيدة) انها في غاية الادب حقيقة ، كم سنها ؟

السيدة ـ ٩٣ سنة ؟

السيد ـ لقد تجاوزت أغلب عمرها ٠

السيدة ـ وهي مدينة لنا بثمانين عاما ٠٠ اذن عمرها فقط ١٣ عاما ٠

السيد ـ ستمر بسرعة ، كما مرت سنوات أخرى من قبل (وينظر الى الآنسة) أنت ما تزالين صغيرة ٠

الآنسة ـ (في صوت قوي جدا) ولكن لاتنس كم صغيرا غلب كبيرا ٠

(وينهض السيد والسيدة في حالة من الخوف ، وينظر كلاهما الى الآخر وقد تحجر في مكانه) ٠

ستار

أنيس منصور

تاريخ الشعر أولا ..

بقلم الدكتور احمد كمال زكى

- ١ -

المعركة التى نشبت منذ أيام بين لجنة الشعر بالمجلس الأعلى وشعراء الشباب - مهما تكن ضراوتها - تدل على وعينا التام بأسباب الفن المختلفة ولكنها بخروجها عن النطاق الفنى تعريضا كانت او تجريحا تحتاج الى أن يعاد فيها النظر تاريخيا قبل أن يفصل فيها ان كان الشعر يحتاج الى من يفصل فيه !

أجل .. فنحن لا يمكن أن نفهم طبيعة المعركة ولا احتمالاتها القادمة ولانتائجها قبل أن نحدد طبيعة هذا « الشيء » الذى يتعارك عليه ، قبل أن نتفهم جوهره ونتعقبه منذ شب - ان كان هذا فى الامكان - حتى استوى وتلون .

ولا يظنن أحد أن فى هذا سرفا أو اضافات او استطرادا أو ما يشبه ذلك ، فانما الدراسة العلمية تقتضى استقصاء حدود الظاهرة وتعمقها معا ، تقتضى أن توضع فى اطارها التاريخى الواقعى بلا محاولة للجاج أكبر الظن أنه لا ينتهى الا كما انتهت اليه كل المناقشات البيزنطية .

فلنعد اذن الى الوراء ، ولنقل ان دراسة المراحل الأولى للفولكلور لا يمكن الا أن تفترض لونا من التعبيرات - قد تكون ادبية - داخل أنماط ذات ايقاع ما ، وقد يسودها التكرار فى بعض أجزائها . ولعلها قبل أن تخضع للقالب الوزنى - الذى كان يلازم الحركة الجسمية عادة - عرفت ما نسميه اليوم بالأسجاع ، ولا يخفى علينا أن بعض الدارسين يرون أن « الرجز » العربى تولد من السجع مرتبطا بحداء الناقة .

وقد نميل هنا الى من يفسرون اللغة التفسير المادى فنبعد الشعر عن الأسطورة وما يجرى مجراها ونقرنه بالعمل ، على أساس أنه المجال الطبيعى الذى ينشط له الانسان أول ما ينشط . وتكون رحلة البدوى مثلا فى الجزيرة العربية من هنا هى مجال اتساق حركة الانسان بحركة الناقة ، وعند ذاك يحاول اللسان مزج ايقاع الحركتين عن طريق اللغة .

والمرحلة التالية فى تطور الشعر تمت مع أداء الطقوس الدينية (١) والرقص كان بعضها ، ومع الأغنية الجماعية التى كان المغنون يتبارون خلالها بارتجال المقطعات المنظومة (٢)

وفى الفولكلور المصرى نجد ظاهرة الغناء فى أثناء العمل ، بل لا تزال الى اليوم تردد فى مثل هذا الغناء كلمات دارت كثيرا فى نظم الأولين ، وهى نفسها تسهم فى تنظيم حركة الجسم مع طبيعة العمل .

كل هذا لا يهم القارىء كثيرا ، وان يكن دائما يحاول أن يسأل : هل الشعر بتلك الصورة القائمة كان أول ضروب التعبير الأدبى ؟

لقد أجمعت الآراء على أن الشعر - الذى يوضع فى مقابل النثر - كان أداة التعبير الفنى منذ طفولة الانسانية ، لأنه خيال والخيال أسبق ظهورا من العقل !

والوضع بهذا التكييف غريب حقا ، لأن الشعر ليس خيالا كله . بل لقد كان على ما بينا حقيقة لم تحتج فى ماديتها الى خيال قط ، وربما كانت الحكاية اكثر من الشعر حاجة الى الخيال . وكان الانسان الأول يميل دائما الى أن يسرد وقائع يومه - فى الغابة او فى الصحراء أو امام النهر - فى تهويل عرفته الأساطير أو حكايات السحرة التى يعنى بها علماء الميثولوجيا .

ومع ذلك نرى من يقول ناقلا عن «لالو» ومتابعا طه حسين وكل الذين يجعلون الأدب اليونانى نقطة البدء لفهم الآداب العالمية « ومعلوم أن تصوير الانسان لما يراه مما هو من خلق خياله ، أسبق فى مراحل التطور من مراعاته الدقة فى تصويره لما حوله » (٣) ومن أجل ذلك تأخر ظهور الخطابة .

ان الخطابة ليست النثر كله ، وفي حدود ماوصل الينا من تراث العرب يجب أن تقدم الأمثال واسجاع الكهان الى جانب القصة ، وكل هذه لا يمكن أن يسبقها الشعر الذى مر فى مراحل كشف عنها الشعراء المعروفون أنفسهم ووجود قصائد لا تخضع للميزان العروضى الذى وضعه الخليل بن أحمد فى القرن الثامن الميلادى (٤) ٠

واذا كان هذا هو واقع الشعر فمما يضيف اليه ابعادا جديدة أن نقرر أن « **الشعر الغنائي** » كان اول ما عرف من فنون الشعر ٠ بمعنى أن الشعر الملحمى مثلا أو شعر الدراما لا يمكن أن يسبق الشعر الذى يتغنى فيه الفنان بالمشاعر الذاتية ، ونذكر أن التراجيديا كانت فى أصولها "غنائيات تنشد فى رحاب ديونيسوس فى حين كانت الملحمة « تنظم » حكايات الخوارق فى تشكيل معين ٠ ولقد كان عجيبا بعد ذلك أن يلحق أرسطو الشعر الغنائى بفن الموسيقى على اساس انه لحن وغنى به ، ويجعل ضروب الشعر ثلاثة هى : شعر الملاحم ، وشعر المأساة ، ثم شعر الملهاة ٠ ويلاحظ من كلامه عن هوميروس أن الأناشيد التى تنظم فى محاكاة الفعال (٥) مرحلة سبقت الملحمة والدراما ، وأن هوميروس الذى الف باوزان بطولية فى الالياذة اصطنع الايامبو فى أناشيد الهجاء على ما تدل عليه قصيدته الهزلية مرغيتس (٦) ٠ ويعنى هذا أن الكوميديا نشأت عن الايامبو ، فى حين كانت أصول المأساة ممتدة الى الملاحم بصفة عامة ٠

والأمر على اى حال لا يؤكد الا شيئا واحدا هو أن جوهر الشعر عند ارسطو ينحصر فى المحاكاة أي تمثيل فعال الناس بكل وجوهها ، وقد لوحظ أن هذه المحاكاة هى التى تفرق بين الشعر والنثر ، فاذا نظم ناظم نظرية فى الطب أو الطبيعة يسمى عادة شاعرا ، ورغم ذلك فلا وجه للمقارنة بين هوميروس وانبادوقليس الا فى الوزن ، ولهذا يخلق بنا أن نسمى أحدهما ــ هوميروس ــ شاعرا والآخر طبيعيا ادنى منه شاعرا » (٧) ٠

وقد يكون الكلام ــ عنده ــ بلا وزن ، ولكنه يدخل فى نطاق الشعر ما كان محاكيا ٠ ويقابل هذا تماما أن ينظم الشاعر ، ومع ذلك لا نحس فى نظمه شعرا ، لأن الوزن لا يكفى وحده ليجعل من الانسان شاعرا ٠ وهذا الادراك للشعر يختلف أساسا عن ادراك العرب له ،فقد كان هؤلاء يصرون على ان يكون الوزن ــ مع القافية ــ الفيصل بين الشعر والنثر بلا ادنى معارضة ، بل ان بعض العرب اليوم يرفض كل شعر يحطم الاطار الذى رسمه الخليل بن أحمد ــ باستقراء الشعر القديم ــ لمجرد أن وحدات الوزن بوضعها الجديد لا توفر الانسجام ولا الايقاع على النحو التقليدى المعروف ٠

وليس يعنينا الآن مناقشة هذه القضية فستطرح للمناقشة بعد هذا ، الا أن الشعر العربى الذى يشترط الوزن لا يزال الى اليوم مجهول الأصول ٠

ولعل أقدم نصوص هذا الشعر العربى تقع فى القرن الخامس الميلادى ٠ هذا باسقاط كل ما روى منسوبا لآدم وتبع والاسكندر مما أشار الى بعضه ابن سلام فى مقدمة كتابه « طبقات فحول الشعراء » ومما ورد فى « كتاب التيجان » وكتاب السيرة وغيرها ٠

ومثل هذه النصوص الصحيحة لا نجد فيه الا لغة موحدة ذابت فيها اللهجات العربية واتسق الأسلوب ، ولكننا قد نجد لبعض القبائل ملامح لغوية خاصة في ديوانها ، ففي شعر هذيل ــ مثلا ــ كثير من السمات تخالف به العرف ، وبعض اشعار اليمانيين يحفل باستعمالات معينة ، وهكذا ٠

وغنائية الشعر الجاهلى قد تبدو موحدة أو ذات نغم رتيب عند الشعراء الجاهليين ، فقد تبدأ بالاستعبار على حبيبة ذاهبة وذكر اطلالها ، ثم تقفى برحلة خطرة فى الصحراء وذكر الحيوان ، وحين ينتهى الشاعر الى السيد أو الزعيم تثار قضية سياسية أو يطلب عطاء ، وهنا يتاح ذكر للمفاخر قبل ان يكون الختام بأبيات فى الحكمة ٠

ان هذا التخطيط قد لا يبدو واضحا فى الغالب، لاسيما اذا ذكرنا المقطعات الصغار وأشعار الصعاليك، غير أن الكثرة الغالبة كانت لا تخرج عن هذه الدائرة ، وقلما نجد مطولة كعينية ذؤيب الهذلى « أمن المنون وريبها تتوجع » لا تسير فى الطريق نفسه (٨) ٠

ولسنا نعتبر هذه المطولة اقدم الشعر الجاهلى بل ليست هى من أقدمه ، فان أبا ذؤيب مات حول سنة ٦٥٠ للميلاد (٩) ٠ ولكننا نراها مثلا لا يفى بجميع مقتضيات النقاد الشكليين ، وقد تكشف الدراسة

الدقيقة لشـــعر قبيلة عن اختلافات ضخمة فى غنائياته • ومن هنا يمكن أن يقال ان فى الامكان دراسة أشعار القبائل على أسس تبعد الفكرة الشائعة عن تجمد شعر الجاهليين فى سياق متجانس ، فان تعــذر أمكن ان نجد فروقا أساســية فى شعر الشعراء • فأبو دؤاد الايادى وعدى بن زيد يشوب شعرهما تفكير حضرى ، والأعشى صــناجة العرب يكتشف عن حضارة ساسانية ، وامرؤ القيس وطرفة وعبيد بن الأبرص يضعهم بعضهم فى مدرسة (١٠) كما وضع أوس بن حجر وزهير والحطيئة فى مدرسة المحككين !

وعلى الرغم من أننا نرى أن عصر رسول الله كان نهاية مرحلة البناء العقلى للقصيدة العربية القديمة، فاننا نرى ثمة اضـافات أضـيفت بحيث يمكن أن نرفض الفكرة الشائعة الثانية على نحو ما ، وهى أن الشعر الاسلامى لم يبعد عن الاطار الجاهلى القديم •

لقد تطورت القصيدة فى شكلها وفى محتواها ، وان يكن ذلك فى حدود ضيقة وفى ضوء النقد الذى بدأ بتعقيل العملية الشعرية وانتهى بتجميدهـا الى الأبد •

- ٢ -

لقد بلغ اعتداد العربى بالوزن حدا اعتبر من كل ناظم شاعرا ، وان يكن النقـــاد فيما بعد قسموا الشعراء الى شاعر خنذيذ ، وشاعر مفلق ، وشاعر فقط وشعرور وهو لا شىء ، قال احـــدهم لآخر يهجوه :

يا رابع الشعـراء كيف هجـوتنى
وزعمت انى مفحـم لا انطق

وقيل بل هم شاعر مفلق ، وشاعر مطلق وشويعر وشعرور • والشويعر كمحمد بن حمران سماه هكذا امرؤ القيس ، ولقى رجل آخر فقال له : ان الشعراء ثلاثة : شاعر وشويعر وماص ثدى أمه ، فأيهم أنت؟ فأجاب : أما أنا فشـــويعر ، واختصم أنت وامرؤ القيس فى الباقى (١١) •

ومن الطبيعى أن هـــذه النظرة ليست عروضية فقط ، بل هى بحسب استاطيقيات البلاغة العربية تحدد منزلة الشاعر كفنان يلتزم أصولا بعينها ولهذا فان الوقوف عند الوزن باعتبــاره زاوية لمناقشة الشكل شىء جانبى الى حد ما ؛ لأنه مسلم به ولا يعقل أن يتخلى عنه شاعر •

على أن الســـياق الذى حبذه النقـــاد ـ وكانوا لغويين حتى نهـــاية القرن الثامن الميلادى ـ جنح بالشاعر المحدث الى التمسك بالأصول التقليدية ، ومن ثم كان الشعر حتى عصر هشام بن عبد الملك الأموى عربى الديباجة ، بل ربمـــا كان محـاكاة مصقولة لنسيج الجاهليين • وظلت هذه المحاكاة فى عنفوانها عند شعراء عباسيين أشهرهم مروان بن أبى حفصة ومسلم بن الوليد وابو تمام والبحترى!

وكانت محاولات الخليل بن أحمد فى تحديد قوالب الشعر بما يسمى بحورا قد جمدت الأوزان ، وحينما وقعت محاولة التخلص منها لم تصادف اى نجاح(١٢) وان يكن محدثو العصر العباسى قد مالوا الى الأوزان الخفيفة والقصيرة ميلهم الى الاكثار من مقطعات الشعر التى تتضمن فكرة سريعة أو صورة مختصرة ، كما استعملوا الرجز « المنهوك » ، وكان مكونا من تفعيلة واحدة فى كل شطر •

ومن ناحيـــة أخرى طوروه تطويرا بحيث راح يستوعب أغراض القصيد كلها ، كمـــا اســـتغل كمزدوج فى نظم العلم والقصص • وما محـاولات أبان اللاحقى الذى مات سنة ٢٠٠ (٨١٥ ميلادية) فى نظم كليلة ودمنة وغيرها من موضـوعات فقهية كالصيام الا صدى لاستجابات الرجزلحاجات العصر• وقد تابعه فى ذلك ابن المعتز العباسى المتوفى سنة ٢٩٦ •

وقد كان لانتقال الشـــعر العربى الى الأندلس اثره فى تطوير أوزانه فيما يعرف بالموشـــحات ، وهـــذه فيما يبدو احدثت تغييرا كاملا من ناحية الايقاع والمبنى العام فى شـــعراء « الطرو بادور » وأشهرهم دى بواتييه ـ الشاعر الكونت الجوال ـ ودى افرن ومكابرو اللذان ماتا بين سنتى ١١٨٠ ، ١١٨٥ وثبت علميا تاثرهما بشعر الاندلس(١٣) • ونســـتطيع من جانب آخر أن نقول ان قصـــائد «البالاد» و « السوناتات » او الأرانين تتألف من

أسماط متعددة الأوزان والقوافي كالموشحات وقد عرف بالنوع الأخير كل من شيكسبير وجون ميلتون واليزابيث باروننينج التي نظم زوجهـا روبرت براونينج مستخدما ايقاع البحر الطويل ٠

وأولية الموشح نراها عند مقدم بن معافى القبرى أحد شـعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني ، وأخذها عنه أبو عمر أحمد بن عبد ربه صـاحب « العقد الفريد » والمتوفى حول سنتي ٢٣٧ و ٢٣٨ ٠ وقد لحظ ابن خلدون ذلك ، وقرر أن بضاعتهما كسدت من بعدهما حتى جاء عبادة بن ماء السماء المتوفى سنة ٤٢٢ فاذا الموشح يلعب الدور الأساسي في الحياة العربية الاندلسية ، واذا النقود المختلفة توجه اليه كما توجه الى قصيدة الشعر المرسل اليوم ولعل ابن سناء الملك الشاعر المصري الذي مات سنة ٦٠٨ كان أول من حصر قواعد الموشـحات وبين خصـائصها في كتابه « دار الطراز » ليكون أول من نظم عملية نقل هذا الفن ـ علميا ـ الى الشرق ٠ وعنه انبثق « عروض البلد » الذي كان في أعاريض مزدوجة شهر بها ابن شجاع والكفيف (١٤) ، كما انبثق عن « البسيط » الموال المعروف ٠

واذا كان الموشح قد سمح لفنانيه بتطويع الأوزان وتشكيلها فقد هيأ لهم كل الفرص لاستخدام اللغة الدارجة ، تماما كما اسـتخدمت في « المواليا » العباسية وفي بعض من أشعار القرن الثاني الهجري قبل أن يستفحل الأمر على مدى الزمن وتظهر الأزجال مكونة الفن الشعري للشعب ٠

« د . احمد كمال زكي »

هوامش ومراجع

(١) في القرآن الكريم « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » يريد صلاة الجاهليين ، والمكاء هو الصفير والغناء ، والتصدية التصفيق ٠

(٢) يقول بروكلمان في الكتاب السابق ١ : ٥٦ ان من المحتمل أن تكون القصائد الجاهلية قد قصد بها الى أن تغنى مقترنة بموسيقى بسيطة ، وفي صفحتي ١ ، ٩ من كتاب تاريخ الموسيقى العربية يقول فارمر ان جني الشاعر كان يستحضر بطريق الموسيقى ، ومن ثم كان الشـاعر موسيقيا ، وقـد يستصحب مغنيا يغني شعره (الطبعة الانجليزية) ٠

(٣) الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه « المدخل الى النقد الأدبي الحديث (ص ٣٣٧ ط ٠ الرسالة ٩٥٨) ٠

(٤) لخص الدكتور شوقي ضيف هذا في كتابه تاريخ الأدب العربي ١ : ١٨٣ وما بعدها (ط ٠ المعارف ١٩٦٠) وفي كتابه الآخر « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » صفحة ٧ وما بعدها (ط ٠ لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩١٥) ٠

(٥) يريد هنا فعال الفضلاء وهي المدائح وفعال الأدنياء وهي الأهاجي ٠

(٦) راجع فن الشعر ١٣ ، ١٤ وهذه القصيدة عبارة عن أوزان ايامبية سداسية وثلاثية ٠

(٧) فن الشعر ٠

(٨) في هذه المطولة ثلاثة مشاهد عبر فيها الشاعر عن حسرته لوفاة ابنائه في الطاعون ، والمشاهد تكشف عن تسلط القدر في مصرع لحمار وحشي وثور هائج وفارس مسلح !

(٩) امرؤ القيس مثلا مات سنة ٥٤٠ ، ومات طرفة بن العبد سنة ٥٦٨ ومات عدي بن زيد سنة ٥٨٥ ٠

(١٠) دراسات في الأدب العربي ١٤٠ لجرونباوم (ط ٠ بيروت) ٠

(١١) هذه التقسيمات أوردها ابن رشيق في العمدة ١ : ٧٧ ، ٧٤ (ط ٠ هندية سنة ١٩٢٥) والخنذيذ هو الذي يجمع الى جودة الشعر رواية الجيد من شعر غيره ، والمفلق هو الذي يأتي بالفلق أي العجب ٠

(١٢) من هذه المحاولات ما قدمه أبو العتاهية الذي نظم أغاني الملاحين في دجلة والذي خرج على قيود الخليل ، فعوتب قال : أنا أكبر من العروض !

(١٣) تحسن هنا مراجعة الدكتور نيكل Nykl (A . R) في كتابه المعروف Hispano-Arabicpcetry

وقد طبع في بلتيمور سنة ١٩٤٦ وكذلك كتاب

Choytor (H.J) شعراء الطروبادور The Troubadours

وقد طبع في كيمبردج سنة ١٩١٢ ٠

(١٤) راجع مقدمة ابن خلدون ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٧ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ (ط ٠ التقدم) ٠

آفاق لم يرتدها الكتاب العربي

بقلم الدكتورة نعمات أحمد فؤاد

ارتاد الكتاب العربي آفاقا تذكر له وتطور بلاشك في ارتياده .. وتطوره هـذا كان حديث الأسـاتذة الاجلاء في الندوات الثقافية وفي الندوات الأخرى التي عقدت في أسبوعه ... والآن بعد أن عرفنا كم قطعنا من الطـريق الطويل . علينـا أن نتبين في صـدق وشجاعة كم بقي منه .. هناك آفاق لم يرتدها الكتاب العربي على الرغم من الألوف التي أخرجتها المطبعة في السنوات العشر الأخيرة والتي يهدف الكثير منهـا الى التوعية الجماهيرية ،فروعي فيها البساطة في الشكل والسهولة في الموضوع وقلة التكاليف في الاخـراج لتكون في متناول أكبر عدد ممكن وتؤدى رسالتها في أوسع نطاق .

وبين هذه الألوف يقل ، ولو بالقياس ، الكتب الممتازة تاليفا ونشرا . وفي هذا الغمـر يقف مثـلا كتـاب ككتاب (الفن المعاصر في مصر) وحده من حيث المسـتوى الرفيع في فن الصـورة واللون والاخراج والطباعة لأنه طبع في يوغوسلافيا على نفقة وزارة الثقافة والارشاد .

هناك مجالات لم يطرقها الكتاب العربي ، لنأخذ مثـلا عالم الأطفـال . بدأنا أخيرا نهتم بدنياهم الصغيرة الكبيرة فكتبنا لهم القصص الملون ولكن أين الكتب التي تبسط لهم العلوم وأين دوائر معـارف الأطفال .

وفي عالم المرأة والبيت آية دوائر معارف الزهور والحدائق والمنزل وكل ما يهم المرأة العاملة الوقوف عليه تعميقا للوعي أو استزادة من المعرفة أو توفيرا للجهد أو الوقت أو المال .

هنـاك جوانب عـامة وطريفة معا في حياتنـا لم يعالجها الا اجـانب فمنذ أن كتب (لين) في أواخر القرن الماضي كتابه :

Mannrs and Costams of Modern Egypt.

لم يتناول أحد حياتنا اليومية في كتاب .

ان حياة الانسـان تجـربة كبيرة ليس كالكتاب معرضـا لها وحافظا . فكم منـا سجل مشـاهداته وتجاربه . لقد عاش ويلككس .Willcocks مهندسا للري في مصر عشر سنوات فكتب عن النيل كتـابه Egyptian irrigation كما كتب Hurst كتابه The nile.

وكان جارفس ضابطا في البوليس فكتب الكثير من الكتب عن عاداتنا واخلاقنا وصـور مجتمعنا ولو أنها بصورة ساخرة لاذعة وكتب آخرون عن حدائق مصر وعن موالد مصر وعن صحراء مصر كتابات خبيرة متخصصة وهي اهتمامات ما كان أولانا بها .

ولا أحاج هنا بروائع معـدودة نعتز بها تسجل تجـارب اصحابها الأعلام ككتـاب (عالم السـدود والقيود) وكتاب (رجال عرفتهم) لأستاذنا العقاد وترجمة حياته الكتاب الذي صدر بعد أن غربت عنا حياته في أسوان .

وكتاب (الأيام) **للدكتور طه حسين**
وكتاب (حياتي) **للدكتور أحمد أمين**
وسندباديات **للدكتور حسين فوزى**

وذكريات ومشـاهدات نجيب محفـوظ الطبيب والأديب كليهما .

ولكن هذه أمثلة فحسب ونحن نريد لها أن تصبح ظاهرة .

هناك موضوعات تتصل بجوهر حياتنا واسـباب وجودنا لم تحتشـد لها ولم نكتب عنها كتابة علمية أصيلة متعددة متكاملة . لقد مررت أنا بتجربة حية عندما تقدمت للكتابة عن (النيل في الأدب المصرى) لم أجد مادتي الا في كتب أجنبيـة وخاصـة منهـا ما يتعلق بالعصر الفرعوني .

ومنذ شهرين صدر كتاب عن النيل في الانجليزية هو معرض حافل من الصور التقطها صاحبها المصور العالمي اليوت اليزيفون في خمسـة عشر عاما عاشها عاكفا على النهر الخالد في منابعه ومتحدراته وروافده وشعوبه وحضـاراته . وقد أسهم في أخـراج هذا الكتـاب خمس دول هي : انجلترا . امـريكا .

سويسرا . هولندا . ألمانيا . فجاء الكتاب مظهرا مشرفا لفن الانسان وصبره .. لفن الصورة الحساسة الذكية .

يكتب الألمان والانجليز والفرنسيون عن النيل ونحن الذين يجرى النيل فى عروقهم دما ويسرى فى قلوبهم هوى ويشكل بالنسبة اليهم تاريخا وحضارة ونبع حياة ، نحن قطرات النيل ليس بين انتاجنا الحديث ما فى المكتبة الامريكية عن المسيسبى من روائع مارك توين أو المكتبة الروسية عن الفولجا او المكتبة الفرنسية عن السين فى حين أن هذه الانهار جميعا لا يستثنى منها المسيسبى لا تبلغ شأو النيل فى تاريخ الحضارة ولا جدوى النيل على حياة الانسان.

واذا كانت هذه حالنا مع (النيل) فكيف بغيره من المعالم الأخرى أو الموضوعات الأخرى ! وهنا نستطيع أن نقدر وعورة الطريق التى يسير فيها الباحث العربى والطالب العربى .

فى انجلترا أو امريكا مثلا نجد كتابا عن (الزهور فى انجلترا) وآخر عن (الحدائق فى انجلترا) بل الكلاب وكل ما يمكن أن يكون موضوع كتاب .

هناك مجالات لم يطرقها الكتاب العربى .. الفن مثلا .. عندنا مختار وصبرى وناجى ومحمود سعيد اين الكتاب الذى يضم كل أعمال مختار ويعرف القارىء بها ويحفظ جهوده فى هذا السبيل لأجيال مقبلة ! . لقد أصدرت انجلترا ولا أقول فرنسا كتابا عن بيكاسو يحوى كل أعماله الفنية بألوانها وسماتها وثمنه عشرة جنيهات ونصف جنيه . وأنا لا أذكر الثمن هنا الا للدلالة على فهم الناشر ووعى القارىء الأجنبى .

ليس عندنا كتاب أو كتاب المشكلات الفورية لأنه ليس عندنا الناشر الفنى الذى يرصد الأحداث ويلتقط الموضوعات ويكلف أهل الاختصاص بعلاجها . الناشر عندنا تاجر وصاحب رأس مال يقدر فقط عوامل الربح والخسارة وتسيطر عليه حساسية السوق فما يروج يقبل على طبعه ولو كان غثا فجا .. وما يخالف السائر الذائع يحجم عنه فى قشعريرة تسرى من جيبه الى رأسه لأننا بصفة عامة لا نقدر قدسية الكلمة حق قدرها .. قدسية الكلمة وحقها وحق قائلها فى أن تكون حرة مخلصة شجاعة فى غير هدم أو اسفاف .

وقد يقول قائل ان من الطبيعى الا يقذف التاجر أمواله فى البحر ثم يجلس على الشاطىء ينتظر أن تقذف بها اليه الأمواج أو الغواصون ولكنى أقول ان النشر بمفهومه العميق ليس تجارة فحسب ولكنه رسالة وأمانة لابد فيه من تضحيات واقدام بل انه حتى لو اقتصرنا على المفهوم التجارى ، لابد له من تحمل الجانبين الخسارة والربح فان الفشل تجربة تدفع صاحبها خطوة فى طريق النجاح .

وهنا، استكمالا للحقيقة ، يجب أن نقول : انواجب الدولة التى وقفت وراء الوان معينة من المعرفه كنشر التراث والترجمة والكتاب الأول للمؤلف الناشىء ، يجب أن تتولى هى نشر ما تقصر عنه طاقة الناشرين المادية والفنية .

ليس عندنا الناشر الايجابى صاحب الدور .

عندنا على المؤلف أن يسعى الى الناشر ويخطب وده ويتقبل شروطه ، ان تفضل وتنازل بالطبع ولكن دور الناشر فى الغرب أمر مختلف جدا .. عندهم المحرر Editor وهى طبقة فى النشر لم تعرف عندنا بعد .. وهى مهمة صعبة تحتاج الى دراية وسعة أفق وعمق اطلاع .. ان صاحبها لا بد أن يكون موسوعة بمعنى الكلمة فنجد فى انجلترا مثلا سير هامرتن Hammerton الذى أصدر تاريخ العالم كله وحشد له العلماء من كل بلد وكلف أهل الاختصاص فى جميع أنحاء العالم بالكتابة كلا فى موضوعه ثم تناول هو المادة النفيسة وجمع لها الصور وشكلها فى صورتها الأخيرة التى تعرفها باسم Universed History of the World فى ثمانية مجلدات كبيرة .

ولم تقتصر همة هامرتن على تاريخ البشرية وهو عمل جليل بل خاض التجربة نفسها أكثر من مرة فأخرج كتابه تاريخ الحرب فى ١٣ مجلدا ودائرة معارف عامة فى تسعة مجلدات ودائرة معارف المنزل فى ستة مجلدات وموسوعات أخرى عديدة المجلدات عن الناس فى كل الاقطار peoples of all nations وكذلك مدن العالم وعادات وتقاليد العالم الخ . وقد بلغت المجلدات التى حررها هامرتن اكثر من مائتى مجلد فى مختلف الفنون والعلوم والتاريخ .

ان عمل هامرتن يفتح عيوننا على نقص نستشرف الى استكماله فليس عندنا كما أسلفت المحرر بمعنى Editor محرر يجمع المادة العلمية ثم يتولى هو تنسيقها وتزويدها بالصور ووسائل التوضيح ثم يخرجها اخراجا شيقا جذابا ، وهى مرتبة فى عالم النشر يجب أن نطمح اليها ونحققها وننطلق منها الى آفاق يشرف بها الكتاب العربى .

د . نعمات أحمد فؤاد

من وحي رحلة إلى اليمن

بلقيس

للشاعر : صالح جودت



لمن العيون الحالمات المغريات بألف نظره ؟
لمن الشفاه الحالمات المسكرات بغير خمره ؟
لمن الجبين الألمعي يلوب اشراقا ونضره ؟
لمن القوام السمهرى يزلزل الدنيا بخطره ؟
لمن الحرير الموصل على حرير أرق بشره ؟
لمن السرير تهابه الدنيا وتحسده الأسرة ؟
من ربة التاج الحبيب المزدهي باجل غره ؟
صلت رعيته عليه وسلمت لأعز دره
وكانما عقدت لآلئه لها ملك المجره
وكان نور الشمس من لفتاتها يلتاع غيره

*

هذى المليكة من خطاها يبدأ التاريخ سيره
خلعت حضارتها عليه ووشحت بالنور فجره
بلقيس .. من وهبت حديث المجد رونقه وسحره
وتطاولت لذرى نفرتيتي وقمة كليوبتره

*

من مثلها بين الاناث نهى ومنزلة وقدره ؟
سحرت سليمان الحكيم فباع حكمته بنظره
قالوا له جنية مرتاشة الساقين وعره
فجلا رخام طريقها واشفه لتمر عبره
فجلت له ساقين كالنوار اغراء ونضره
تتحديان شفيف مرمره وتقتحمان كبره
وتشعشعان فتزريان بألف جارية وضره
فصبا النبي ، وما عليه اذا صبا لأعز حره
من لا يسبح للجمال قضى عليه الله كفره

*

بلقيس : انى قد سعيت الى حماك وخضت بحره
وحملت وعثاء الطريق الى مزارك غير مكره
أتنسم المأثور من ماضيك او استاف عطره
وبلغت شرفة « مارب » استل من ذكراك عبره
واقول أين الجنتان واين سدك والبحيره
والعرش .. والذهب المقنطر .. والوسائد والأسره
والمعبد المأثور يحوى ألف زاوية وحجره ؟

لم ألق في مغناك الا دمنة تشكو لصخره
وطلول اعمدة تنوح وتستتيح بألف عبره
ولقى تماثيل تدس وجوهها خجلا وحسره
والشعب من حول الطلول هو الطلول المكفهره
من كل وجه في التراب يذوب متربة وصفره
فاذا تلفت للسماء ولم يجد في الغيم قطره
واذا تمرغ في التراب ولم يجد في الأرض كسره
سكنت جوانحه واسلم للغد المجهول أمره
لم يقو من اعيائه أن يشتكي لله فقره

*

ما بال صناع السدود العاليات المشمخره
اقوت حضارتهم فهم لا يصنعون اليوم جره ؟
ما بال كتاب الخطوط بكل مسمار وابره
عادوا لجهل كان قبل الجاهلية ألف مره ؟
ما بال زراع الجنان بكل فاكهة وبره
جفت منابعهم فليست في مزارعهم شجيره ؟
ما بال جواب البحار الطالعين لكل هجره
ناموا .. وما علموا بأن العصر صاروخ وذره ؟
ما بال رواد العقيدة منذ عهد أبي هريره
سجدوا لعرش غير عرش الله يمتثلون أمره ؟
وكأن هذا الشعب مات ولم يجد في الأرض حفره
وكأنه من عهد آدم ما تحرك قيد شعره

*

بلقيس .. عفوا ان حملت على الملوك بكل شره
لا الصولجان له البقاء ولا الأرائك مستقره
ان لم تكن لذوي العروش من التفاف الشعب سدره
ما اصدق التاريخ في حفظ العهود وما أبره
قومي اشهديه يرد سيرة مجده وبعيد سيره
قومي اشهدي الشعب الذي فرض الزمان عليه صبره
وعدا على اقداره واذله باذل أسره
واضله بالقات فهو عن الحقائق رهن سكره
واحله لهوى الأئمة يفرضون العيش سخره
قومي اشهدي كيف استفاق وبارك الرحمن دره
خطب الجهاد ، ومن يجاهد يؤته الرحمن أجره
وأبى الهوان وقام ينزع من يد الطغيان ثأره
ويطالع الدنيا بأروع وثبة وأبر ثوره
هتفت معاقله باسم «يعرب» لتشد أزره
فهل استجاب لهن الا من أظل الله عصره
ورعى رسالته وأيد عهده وأطال عمره
وحمى حماه من المحيط الى الخليج وصان مصره
مصر التي تهب البنين لكل مكرمة ونصره
النيل يجري في سمات شبابها نبلا وسمره
وطني ، ونجواه الزكية في دمي ، في كل قطره



اني رجعت الى ثراه اضمه واشم عطره
وهرعت للبحر الحبيب ورمله ، ولثمت ثغره

*

يا «سيدى بشر» الذى يضفي على الشطآن بشره
ويفادح الدنيا بألوان الملاحة والمسره
ويقرب المحبوب من محبوبه ويصون سره
عدنا اليك مع الخريف لنملأ الأيام خضره
ونرد أنفاس الربيع الى الضفاف ككل مره
عدنا ، وعاد المهرجان يزف موكبه وشعره
الشعر ... لا الشعر الجديد المستبيح لكل عوره
لا ما يقول العابثون بكل قافية وشطره
من كل مغمور يهب بغير موهبة وخبره
أوكل مأجور يدب وفي يديه خضاب حمره
أوكل مغرور يدير الى عمود الشعر ظهره

*

الشعر ... ان الشعر الهام وأنغام وفكره
الشعر ... ان الشعر ميزان وبنيان وقدره
الشعر ... ان الشعر ايمان وبرهان وعبره
الشعر ... لولا الشعر ما شبت على الطغيان ثوره

صالح جودت

قصة قصيرة

كبرياء

بقلم : صبحي الجيار

رغم انزوائه وعزوفه عن مخالطة زملائه الطلبة ، فقد كانت الطالبات يلتففن حوله في فناء الجامعة ، ويحاصرنه بالأسئلة والمناقشات العلمية ، فيجيبهن في حياء وارتباك دون أن يرفع عينيه كثيرا الى نظرات الاعجاب التي تلمع في عيونهن .

وبقدر ما كانت الطالبات يقدرن نبوغه ويثقن في تصرفاته المهذبة ، فقد كان زملاؤه الطلبة يحسدونه لتفوقه واستئثاره باهتمام بنات حواء من طالبات العلم في كلية الحقوق. وقد تنحرف بعض الأحقاد فتصيبه بشيء من التعليقات الساخرة ، فتثير أعصابه وتزيد من ارتباكه لكنه لا يلبث أن يتدفق بالمعلومات، وقد تناسى سخافاتهم في سماحة وشموخ .

ولم يكن تجنبه لزملائه عن حياء فطرى فقط ، بل ان طبيعته الريفية ووحدته القاسية في القاهرة ، وظروفه المادية العسيرة التي انعكست بوضوح على ثيابه المتواضعة .. كل هذه العوامل تكاتفت عل نفسه الحساسة فصبغتها بلون من الكآبة والانطوائية كما ان جيبه الخاوى لم يكن يسمح له بمجاراتهم في طلبات البوفيه او تذاكر السينما . وما كانت كبرياؤه تسمح له بالتطفل على كرمهم .

ومن بين زميلاته كانت «الرجاء» تلاحظ تصرفاته القلقة ، وتحاول أن تستكشف دوافعها في أغوار نفسه ، فتنعكس شخصيته في أعماقها بمزيج من الاشفاق والاعجاب ، ورغم تناقض أحاسيسها نحوه ، فقد كانت مشدودة اليه بخيط متين لاتستطيع ان تجزم بتسميته .

بدات تتقرب اليه غير عابئة بهمسات الطلبة وتعليقاتهم ، التي تعلو احيانا في تساؤل مندهش من أحدى صديقاتها التي كانت تعجب لهذه الصداقة غير المتكافئة ، خاصة من رجاء ذات السيارة الفارهة ، التي يحوم حولها الطلبة طامعين في توصيله مجانية او نظرة رضا ، فتحدجهم في ازدراء وهى امام عجلة القيادة ، فتشل صفاقتهم ، وتقتل الامل في صدورهم ، فلا يلبث الطامعون في غزو قلبها ان يتقهقروا وكل منهم يتحسس جرحا غائرا في كرامته .

والواقع ان رجاء لم تكن بالفتاة المتعالية او المتبلدة الشعور ، لكنها كانت تشمئز من الرجل المتهافت ، الذى يتمسح باطراف ثوبها في ذلة واستجداء . وقد جذبها الى صديقها الفقير انفة وكبرياء واضحان في كل تصرفاته . فلم يكن يسعى الى احد . بل هم الذين يتقربون منه ، ويقتحمون عليه خلوته في ركنه المنعزل ، ويابى ان يقبل دعواتهم الملحة الى الكافيتريا . ولايقبل دعواتها المتكررة لتوصيله بسيارتها الى بيته لانه لا يقع فى طريقها مما سيضطرها الى مجهود اضافى يثقل كاهله بجميل لايستطيع رده .

وكانت رجاء تعمد احيانا الى افتعال حاجتها لكراساته مدعية ان اجزاء فاتتها من محاضرة هامة ، فيسارع لتلبية طلبها في سعادة واضحة عارضا جهده ووقته ليشرح لها مافاتها . كانت تعمد الى هذه المناورات حتى تشعره باحتياجها اليه فترضى في نفسه غرور الرجل الذى يمنح في قوة ، ولا يستجدى في خنوع . وكانت هى تحترم عفة نفسه وتقدرها وتتحاشى ان تخدش كرامته او تحرجه باى عرض يحمل معنى العطاء او المساعدة .

لذلك كانت مهمتها صعبة فى ذلك اليوم، عندما ارادت ان تفاتحه في مشروع مادى يخص احدى صديقاتها . وانتهزت فرصة اختلائهما في فناء الجامعة ، وهمست له في ارتباك :

ـ انا عايزة منك خدمة ياكمال ..

فهتف فى حماس صادق :

ـ انا تحت امرك ...

وعادت تقول في تردد :

ـ بس انا خايفة لتكسفني .. اصل دى خدمة لواحدة صاحبتى خالص .. ويهمنى امرها ".

فقال بعتاب . وقد لمس توسلها وترا فى مروءته :

ـ هو انا اقدر اتاخر عنك يارجاء ..

وبعد ان نطق الجملة الاخيرة ادرك مافيها من شحنة عاطفية ، فخفض بصره في حياء وتمتم في كلمات متلعثمة :

ـ احنا زملاء .. ولازم نخدم بعض ..

وعاد يرفع بصره اليها بعد ان خلف من وقع الكلمات العاطفية ، فالتقى بوميض حالم في عينيها وهى تهمس في خجل :

ـ زملاء بس .. ؟ انا كنت فاهمة انى بالنسبة لك اكثر من زميلة عادية ...

فاسرع يقول بحماس :

ـ طبعا طبعا .. زملاء ". واخوات .. و .. واصدقاء ..

ـ اذن موافق ..

ـ موافق على ايه .. ؟

فقالت ضاحكة :

ـ آه صحيح .. دانا لسه ماكلمتش فى الموضوع ...

وراحت تحكى له موضوع صديقتها التى لم يساعدها مجموع درجاتها في الثانوية العامة في الالتحاق بكلية الحقوق

كطالبة منتظمة ولكنها صممت على الكفاح بطريق الانتساب * وبما انها متزوجة ، وظروفها العائلية لاتمكنها من الحصول على المحاضرات بصفة منتظمة ، فقد هداها تفكيرها الى مفاتحة صديقتها رجاء طالبة منها ان تساعدها في هذا الشأن . ولما كانت رجاء لا تجد في وقتها متسعا لتلبية رغبة صديقتها ، فقد رأت ان تعرض الفكرة على صديقها كمال ، الذى بدا يتململ عندما وصلت بروايتها الى هذه النقطة ، وقال في حرج :

– انا مستعد اساعدها .. بس ..

– فقاطعته رجاء قائلة :

– لا ماتخافش .. انا مش حاخد منك الكشاكيل بتاعتك طبعا ، لان دى طريقة تعطلك عن المذاكرة ...

فتنهد في ارتياح وقد ادرك تقديرها لموقفه ، وقال :

– امال ازاى حاقدر اساعدها ؟

– احنا فكرنا كتير في الموضوع .. ولقينا ان اسهل طريقة انك تستعمل ورق الكربون اثناء كتابة المحاضرات .. وبكده تلاقى معاك نسخة من كل كلمة تكتبها ..

فكر قليلا ، ثم ابتسم في رضا وسماحة وقال :

– فكرة معقولة .. ولو انها حتاخد منى مجهود لكن معلهش .. عشان خاطرك .. بس طبعا انتى اللى حتوصلى لها النسخ بتاعتها ..

– طبعا طبعا .. لانها ساكنة جنبى في مصر الجديدة ..

ثم ابتسمت وقالت :

– نيجى بقى للنقطة المهمة في الموضوع.

ولما قرات في عينيه علامات الاستفهام ، استطردت تقول :

– اقصد الناحية المادية .. لانك مش معقول تبذل المجهود الكبير ده طول السنة من غير مقابل .. خصوصا دى واحدة ماتعرفهاش .. ومافيش داعى تجاملها على حساب راحتك ..

فاجاب مبتسما :

– ماحنا اتفقنا انى حاقدم لها الخدمة دى عشان خاطرك ..

قالت في حزم :

– لا .. الخدمة في انك تقبل المهمة .. لانك اذا ماكنتش قبلت كنت مش حالاقى طالب متفوق زيك يرضى يخدمنى .. لانك زى مانت شايف مش باحب اختلط بالجماعة اياهم دول . وكمان ماحبش حد منهم يحملنى جمايل يستغلها في فرض صداقته علي ..

اسعده كثيرا انها اختارته دون زملائه جميعا لتعتمد عليه في هذه المهمة .. لكنه استكثر ان ينال عنها اجرا . فهز راسه حائرا ، فعاجلته بقولها :

– اظن بتسال نفسك ليه انا مافوضتش بالخدمة دى لصديقتى ..

فاجاب كاذبا :

– ابدا .. ابدا .. انا مش متاخر ...

– لا ياكمال . الحقيقة ان كراسات المحاضرات بتاعتك منظمة وكاملة .. وخطك جميل .. وبتواظب على المحاضرات .. ودى كلها ميزات كانت في ذهنى لما رشحتك انت للمهمة دى بالذات ...

تمتم محرجا :

– بس الناحية المادية ...

فقاطعت كلماته العجل قائلة :

– ده مبلغ تافه بالنسبة لها .. وكمان حيوفر لها مجهود كبير ومصاريف مش بسيطة .. وتاكد ان هى الكسبانة في المشروع ده ...

وقبل ان يفيق من نشوته ، اخرجت من جيبها ورقة مالية كبيرة مطوية على نفسها طيات كثيرة حتى لاتكاد تظهر في كفها واسرعت تدسها في جيبه ، وهى تهمس :

– خمسة جنيه في الشهر كويس ؟

فقفز مذعورا ، وهو يدفع يده في جيبه، وهتف معترضا :

– لا لا .. ده كتير قوى ..

فحدقته بنظرة عاتبة وهمست في غشم :

– ارجوك ماتفرجش علينا الطلبة .. طلع ايدك من جيبك ...

– بس ده مبلغ كبير ...

– ماتنساش انك حتدفع تمن الورق الابيض والكربون ... وماتنساش انك حتتعب في نقل المحاضرات اللى فاتت من اول السنة ...

– طيب كفاية تلاتة .. تلاتة كويسين قوى ...

ولمحت مجموعة من الطلبة قادمين نحوهما فهمست تحذره :

– الطلبة جايين ناحيتنا .. اتكلم في حاجة تانية .. وبعدين نتفاهم ..

وبحجة التفاهم امكنها ان تغريه بالركوب معها في ذلك اليوم وراحت تقنعه بان هذا المبلغ يتضاءل بجانب الخدمة الجليلة التى سيؤديها لصديقتها ، ثم اردفت حديثها ضاحكة :

– ويمكن تعجبنى الفكرة وابقى اتفق معاك تعمل حسابى في نسخة تانية عشانى . بس تبقى تتساهل معايا في المقاولة ..

والتفتت اليه لترى ابتسامته ، لكنه كان عابسا . لان دعابتها لم تصادف هوى في نفسه ، وقال في صوت متهدج :

– وده معقول انى اخد منك اجر يارجاء ؟

فاستمرت تضحك حتى لايفلت الموقف من يدها وقالت مازحة :

– انت صدقت ياخى ؟ .. هو انا يابنى اعرف اذاكر من اى كشكول غير اللى اكتبه انا بايدى .. واشخبط فيه على كيفى ؟.. مانت عارفنى ..

واستطاعت في هذه الجولة ان تنتزع منه ضحكة عريضة وقال معقبا :

– الحقيقة انك ملكة الهرجلة يارجاء.. انا مش عارف انتى ازاى بتعرفى تقرى خطك *..

فهتفت وهى تلوح بيدها في مرح :

– ماهى دى البراعة يابنى ..

– طيب بص قدامك اعملى معروف احسن براعتك في السواقة حاتودينا في داهية ... فقالت وهى تتفادى احدى العربات في رشاقة :

– ولايهمك .. ياتعيش سوا ياتموت سوا ...

وانطلقا يضحكان ، ولكن صدى الكلمات كان يتردد في قلبيهما بمعان اعمق مما يبدو ظاهرها المالوف .

ومضت الشهور ، والورقة المالية الكبيرة تتسلل مطوية الى جيبه كل اول شهر في صمت ، ثم تنتشر على مظهره كله بمزيد من الاناقة التدريجية . ومع هندامه المتطور كان يتاقلم مع البيئة الجامعية . وبدا ينطلق من كابته متخليا عن جموده الريفي ، لكنه لم يتنكر لقيمه الاخلاقية وكبريائه الابية ، وطموحه الذى كان يضعه دائما في مقدمة زملائه ، ووفائه الذى كان يضع رجاء في مقدمة اصدقائه .

شيء واحد لم يعرفه كمال حتى الآن ، هو ان تلك الطالبة الوهمية ، صديقة رجاء ، لم يكن لها وجود الا في حنايا القلب الكبير .. قلب رجاء *

صبحى الجبار

كفاح هادف ولكن ضد الوجود العربي

بقلم : محمد جلال كشك

- ٢ -

كتاب « البلاغة العصرية واللغة العربية » ليس مجرد تشهير باللغة العربية ودعوة الى نبذها ، وطعنة فى ظهور الداعين اليها ، والعاملين من اجل التعريب فى المغرب العربي .. بل هو ايضا هجوم على الحضارة العربية والتاريخ العربي كمجتمع وجنس ..

فاللغة العربية متخلفة كما يقول سلامه موسى لان « يشارك العرب معظم الأمم البدائية فى اشتقاق الملاحة بمعنى الظرف والصباحة من الملح ، لان الملح كان من الأشياء الثمينة التى لم يكن يحصل عليها غير المترفين » .

امة المتنبي والفارابي والبيروني والمعرى ، امة بدائية !! .. وهل يصح ان نقول ان الانجليزى عندما يصف المحبوب بانه Sweet Heart ، فان ذلك يعكس تخلف امة الانجليز التى كانت تستورد الحلوى ولا ينالها الا المترفون فسموا بها المعشوق ؟! سخف لا يستحق ان يناقش ..

والمجتمع العربي عند سلامه موسى « كان اوتوقراطيا ارستقراطيا » ولا يلاحظ سلامه موسى ان هذه الكلمات غير عربية الأصل ـ وهو الذى يورد احصاء بالكلمات العربية المستوردة من اللاتينية والاغريقية يدس فيها كلمات « الزكاة » و « سدرة المنتهى » ـ اما ارستقراطية فلا يتنبه الى ان فشلنا فى ترجمتها واضطررنا الى ادخالها فى لغتنا المكتوبة ، يعنى انها تعبر عن ظاهرة لم يعرفها المجتمع العربي .. فليس فى مجتمعنا العربي الأصيل ارستقراطية ، بل اننا حكمنا عشرة قرون فلم نخترع الألقاب على كثرة ما اخترعناه .. حتى « بك وباشا » وهى تركية ، كانت رتبا عسكرية ولا تورث .. فمن اين جاءتنا الارستقراطية والاوتوقراطية ؟! كيف فاته ان يلاحظ عجمة هذه الألفاظ ، وهو الذى استدل من حبنا للملح على اننا امة بدائية ؟ وكيف يبيح لنفسه ان يتهم اللغويين العرب بالجهل لانهم لم يكتشفوا ان الزكاة منقولة عن اللفظ اللاتينى Decat ، « وسدرة المنتهى » هى Sidera ultima ما اشبه ذلك بقولهم شكسبير هو الشيخ زبير .. والذى يتهم اللغويين العرب بالجهل يجهل ان الفعل « زكى » عربي .. وان « السدر » ورد فى القرآن بمعنى الشجر فى سورة لا تتحدث عن النجوم ..

« .. وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل » .

ولكن متى كان سلامه موسى يتحرى الدقة العلمية فى كفاحه الهادف ..

يقول : « كان المجتمع العربي القديم يعيش فى ظل حكومة استبدادية لم تعرف قط معنى البرلمان او مجلس الأمة » .

« كان ارستوقراطيا حزبيا عقائديا » .

وهل ولدت امة ومعها البرلمان ؟! .. بالعكس ان الشورى وحكم الجماعة وديكتاتورية الأغلبية قد مارسناها جميعا قبل ان تعرف اوروبا اذا كان دم سادتها النبلاء احمر اللون او ازرقه ؟!

بل ان سلامه موسى مع جنكيزخان ضد العرب !

لم تامل هذا الاستخراج او الافتراء السلامى .. « انظر الى ما ورثناه من المجتمع العربي القديم بشان المراة فقد الغى هذا المجتمع المراة من الحياة الاجتماعية الغاء يكاد يكون تاما .. وما زلنا نستعمل الكلمات القديمة .. فنقول « ام فلان او حرم فلان ولا نذكر الاسم ، مع ان الاسم جزء من الشخصية .. واهماله هو سبة للمراة ، واهمالنا لاسم المراة هو تراث لغوى يحمل الينا عقيدة اجتماعية يجب ان نكافحها » .

ولن نناقش حكاية مكانة المرأة في الحياة الاجتماعية بل يكفينا شاهدة من اهله .. الكاتبة الالمانية الشريفة الدكتورة « سيجريد هونكه » في كتابها شمس الله على الغرب ترجمة الدكتور فؤاد حسنين على تقول : « ان امرأة مستقلة تقف في الحياة العامة ومعتركها الا وهي الأرملة الغنية (خديجة) فقد رغب اليها النبي صلى الله عليه وسلم ان تثقف وتتعلم مثلها مثل الرجل . وهناك علماء مشهورون يرشحون المرأة لوظيفة القضاء، كما زاولت المسجد والقت المحاضرات العامة وشرعت .. ومن النساء من اصبحت مدعية واشتهرت بلقب نقيبة رجال الشرع فهي « شيخة » واستاذة وانها لفخر النساء » هكذا كانت تكرم العالمة « شهدة » فخر النساء بنت ابي نصر احمد . والواقع ان العربية لم تكن رهينة البيت طالما كانت الارستقراطية العربية هي المهيمنة على المجتمع العربي » وتقول : « فالحجاب والبعد عن الحياة الاجتماعية لم يقل بهما الاسلام » .

بل يكفي ان نكشف زيف الحجة التي يلفقها سلامه موسى ليستدل بها على عزل المرأة العربية من الحياة الاجتماعية .. اننا نتحدى اي سلامى ان ياتي في مرجع اجنبي بعدد اسماء النساء المذكورة في كتاب الأغاني الذي هاجمه سلامه موسى لأنه كتاب رجعي يتحدث في مجالس الغناء في القصور ؟!

وام النبي اسمها آمنة .. وزوجاته كلهن معروفات الأسماء، ردد المسلمون اسماءهن عبر العصور وسجلوها في كتب التراث .. بينما لا سلامة موسى ولا تلاميذه يعرفون اسم ام شكسبير او حتى اسم ام جونسون الرئيس الأمريكي المعاصر او ام بريزنيف .. ومن يدري اسم زوجة لويس الذي اسرناه في المنصورة ، ولكن الكل يعرف اسم شجرة الدر ام خليل آسرة لويس .. ونحن نقول مسز جونسون ، وهي تعني حرم جونسون ، ولم يلفت نظرنا فقط ان ذلك يعني تحقيرا للمرأة او الغاء لوجودها في المجتمع الأمريكي ... بالعكس حرم فلان افضل اجتماعيا من مسز فلان .. لأن حرم هنا صفة تعادل قولنا زوج فلانة .. اما مسز فهي تعبير عن الوضع القانوني الذي يلحق المرأة بزوجها .. وهو محرم في الاسلام فان كان يجوز قولنا «جاكلين كنيدي» فهو حرام في الاسلام ، فلا يقال : عائشة عبد الله .. بل عائشة بنت ابي بكر لان نسبة المرأة لأبيها ادعى لاحترام انسانيتها حتى ولو كانت ستنتسب لمحمد رسول الله واشرف الخلق ..

واسم المرأة كان يستخدم في المجتمع العربي على اوسع نطاق .. اما « ام فلان » فالعرب كانوا يستخدمون الكنية للتعظيم لا للتحقير.. فهم كانوا ينادون النبي بابي القاسم لا استحياء من اسمه صلى الله عليه وسلم ، بل توقيرا له ..

ولكن في معركة سلامه موسى الهادفة كان يستباح التدليس والجهل .. اما وقد خسر السلامية معركتهم وانتصرت العروبة فلماذا نعيد نشر هذه الأشياء ؟

يقول سلامه موسى « فاستقرار الدين ادى الى استقرار اللغة اى الى جمودها » .

وماذا عن المسيحيين العرب الذين استقروا على دينهم ، ولكنهم غيروا لغتهم الى العربية ؟ وماذا عن فارس التي لم تستقر على دينها واستقرت على لغتها ..

على اية حال ذلك يثبت ارتباط اللغة بالدين في عقل ونوايا سلامه موسى ..

وهو في هجومه على العربية لا يتورع عن الانحياز للانجليز لغة وحضارة ، وهو لايقارن الا بين تخلف اللغة العربية وتفوق الانجليزية .. بل حتى الشعراء !

« كان ابو تمام شاعرا عربيا .. وكان ملتون شاعرا انجليزيا (لاحظ الحرص على اعلان الجنسية) وقد قال الأول كلمته الكاذبة البشعة : « السيف اصدق انباء من الكتب » وقال الثاني : « من يقتل انسانا طيبا فانما يقتل مخلوقا عاقلا هو صورة الله ، ولكن من يهلك كتابا طيبا فانما يهلك العقل نفسه » .

وقد تكون عجمة سلامه موسى ، عذرا في عدم فهمه معنى الكتب في شطرة ابي تمام كما يسميها .. فقد حالت عجمته هذه دون فهم الشعر العربي وتذوقه ، هذا الشعر الذي يثبت يوما بعد يوم انه لا يعطى سره لجامعي اعقاب الثقافة الغربية والذين يقتضمون البيت او الشطرة لخدمة حربهم المقدسة ضد العربية والعرب ..

ولكن ما عذر ناشري الكتاب اليوم ، اذ جهلوا روعة قصيدة ابي تمام ؟ القصيدة التي تعكس تفوق العقل العربي العلمي على الجهل الرومي .. فقد قال المنجمون الروم ، ان عمورية لا تفتح الا عند نضج التين والعنب ، ففتحها المعتصم الذي يمثل حضارة ارقى لا تسأل النجوم عن المستقبل ، ولا تفتش في كتب الطوالع عن انتصاراتها .. ولكن كتب الطوالع هذه حولها سلامه موسى الى الكتب بمعنى الثقافة والكلمة المكتوبة وسود الصفحات في الهجوم على داعية السيف ضد الثقافة... الخ بل واستخدم هذا القلب للحقائق ، في ترجيح كفة الانجليزى على العربى .. لمصلحة من ؟ .. تهاجم عروبتنا ، ونمجد الانجليز.. بحجج مزيفة ، وأدلة على احسن الفروض تثبت جهل صاحبها ؟!

وحملة سلامه موسى على اللغة العربية ، يتوفر فيها ركن « سبق الاصرار » لأنه يعرف تماما ماذا يعني الغاء العربية .. وهو ماكان يستهدفه الفرنسيون بمحوها من الجزائر ، وما حاوله دنلوب في مصر لولا مقاومة الشعب المصري الباسلة بقيادة مثقفيه الأشراف ، قبل ان نرزأ بسلامه موسى واتباعه .. كل هؤلاء الذين هاجموا اللغة العربية، كانوا يستهدفون تذويب الأمة العربية ، يقول سلامه موسى : « هناك احافير لغوية كبيرة القدر على تجمعنا، ومن اسوئها في مصر ، هاتان الكلمتان « شرق وغرب » فان كلمة شرق توحي الينا اننا بشر ننتمي الى اسيا وافريقيا .. وكاننا على عداء مع اوروبا وامريكا .. » .

« كما أن كلمتى شرق وشرقيين تحدث بين بعضنا صدودا عن الحضارة العصرية كاننا في حرب مع الأوروبيين » .

« ثم يجب الا ننسى المعنى الانسانى السامى في اتخاذ الحروف اللاتينية ، معنى الانضمام في الثقافة الى الف مليون انسان متمدين . تحيل الانفصال بيننا وبينهم الى اتصال ، والخلاف الى وفاق . وفي كل هذا سلم وحب وانسانية » .

« اتخاذ الخط اللاتيني .. خطوة نحو الاتحاد البشرى .. » .

نحن نفخر بانتمائنا لآسيا وافريقيا .. ولا نسعى للتبرؤ منهما الى الحد ان نتخلى عن عروبتنا لكي يسمح لنا بالانتماء لأوروبا !! والقاهرة هي مركز التضامن الآسيوى - الافريقى .. فلا يعقل ان تنطلق منها هذه الآراء .. واى سخرية بالثورات التحررية والكفاح البطولى لشعبنا في سنوات ٤٥ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٤ (سنوات الطبعات الأربع) ان يقال لها هذا الكلام، وان يزعم كاتب يوصف ظلما بالتحرر، ان العداء مع اوروبا هو عداء لفظى سببه وجود كلمة شرق في اللغة العربية ، كأنها لا توجد في اللغات الأوروبية المحترمة ! . او كاننا نحن الذين قلنا « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » .

وبعد فما اكثر ما يقال في هذا الكتاب .. وما اكثر الأخطاء والانحرافات التي لا تتسع لها صفحات المجلة .. ولكن مامن حجة واحدة تستطيع أن تبرر صدور هذا الكتاب اليوم .. وقد كان الواجب على كل من يعنيه وجودنا القومى ان يوارى مثل هذا الكتاب .. او ان يخصف عليه من ورق الشيان كما فعل آدم وحواء .. فهو والحق يقال « . . » سوءة ثقافة ، مكروه النظر اليها ، فضلا عن العبث بها وعرضها في مباهاة ..

محمد جلال كشك

رسالة الأدب العربي المعاصر

بقلم : محمد عطا

يقول الفيلسوف الانجليزى هارولد لاسكى ان « **الأدب فى اى عصر من العصور ليس الا تعبيرا عن مشكلات ذلك العصر ، وعن قدرة الناس على العثور** على حل لهذه المشكلات أو الرغبة فى حلها » ، وهو قول سديد الى حد بعيد ؛ فالأدب ليس تسلية ولا ترفيها ، وليس حيلا أو تمويها ؛ وانما الأدب جزء من الحياة أو هو الحياة ، انه انعكاس لآمال القوم وأحلامهم ، وتصوير لآلام الناس وما يعانونه من شدائد ، وهو حافز لهم على النضال ، وصارف لهم عن اليأس والقنوط. والأدب على هذا الوضع ينبغى أن يوجه الى القاعدة العريضة ، الى القاعدة الجماهيرية بتبسيط الفكرة والمضمون ، وعدم التعالى بالشكل أو بالعبارة حتى يتفهمه ويتذوقه أكبر قدر ممكن من الناس ؛ فالقصة مثلا يجب ألا توضع فى رموز وألا ينحو بها الكاتب منحى التعمية والالغاز بل يضعها فى القالب الذى يحمل القارىء أو السامع على التفكير حين ينتهى من قراءتها أو سماعها ؛ القالب الذى يحمل القارىء على متابعة أحداثها من غير تعثر أو ضيق .

والأدب ينبغى أن يعيش مع الناس وللناس لا أن يقتصر على طبقة بعينها أو قطاع بعينه بل أن يكون للجميع ، وأن يتخذ المواقف الانسانية التى يشترك فيها الناس جميعا مادة لعمله الأدبى ، وأن يخوض مع الناس مشكلاتهم ، وأن يشارك فى حلها لا أن يكون بمعزل عن الأحداث التى تشغل الأذهان ، ولا عن الصراع القائم بين المثل القويمة والأهداف الرفيعة وبين المطامع الأشعبية والمصالح الفردية ؛ الصراع الأزلى بين الخير والشر ، الصراع الدائم بين الحق والباطل ، الصراع المستمر بين الأقوياء والضعفاء، الصراع المحتوم بين الأغنياء والفقراء ، الصراع الخالد بين التخلف والتقدم .

وبهذا الفهم والتحديد ينبغى أن نعالج رسالة الأدب العربى المعاصر ، وهى رسالة ليست هينة ولا يسيرة : لأن هذا الأدب ينهض فى أعقاب قرون سبعة تتسم بالضعف والتحلل من القرن الثالث عشر الى القرن العشرين ؛ قرون الانقسام فى الدولة الاسلامية ، وقرون الاستعمار الأوربى والعثمانى للوطن العربى ؛ ففى هذه القرون المتطاولة منى الوطن العربى اما بحكومات تجهل اللسان العربى والثقافة العربية كل الجهل أو بحكومات تعمل جاهدة على النيل من التراث العربى وتقويض دعائمه ؛ هذه القرون هى قرون الظلام للأدب العربى .

فما أن أهل القرن العشرون حتى بدأ الظلام ينقشع رويدا رويدا وفى تؤدة وتمهل ، وحدثت حركة بعث تراث الفكر الاسلامى فى أزهى عصوره ، وواكبت هذه الحركة حركة الترجمة والنقل من اللغات الأجنبية وخاصة الانجليزية والفرنسية ، وبدأ المثقفون يوزعون جهودهم بين الثقافتين ، الاسلامية العربية والغربية ثم قام صراع بين المثقفين ثقافة عربية والمثقفين ثقافة أجنبية وطال أمد هذا الصراع بسبب سياسة التعليم التى قامت على الازدواجية .

ثم حدثت أحداث فى الوطن العربى ؛ أحداث ثورية تحررية تناولت فيما تناولت نظم الحكم والاقتصاد وشكل المجتمع ، وأحداث نضالية بين الأمة العربية وبين الاستعمار والصهيونية ، واذا كان الأديب لايمكنه أن ينعزل عن الاحداث التى تجرى من حوله ، أو ينفصل عن الزمن الذى يعيش فيه ؛ فالأديب العربى عليه أن يخوض المعارك المحتدمة فى وطنه فى قوة واصرار ، عليه أن يخوض معركة الحرية والتنديد بالاستعمار فى كل لون من الوان الأدب ، فى القصة والمسرحية والشعر والمقال .

وأن يخوض معركة الخبز ، الخبز لكل فم ، والحياة الحرة الكريمة للانسان العربى ، فلا حرية لجائع ولا ديمقراطية لبائس أو مستعبد ، ولا ديمقراطية لجاهل، ولا ديمقراطية حين تفتقد العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص .

الوطن العربى فى مرحلة انتقالية تحولية ، هـذه المرحلة تحتاج الى أقلام ثائرة ونفوس قوية وضمائر حية،بل تحتاج الى ضحايا ، وقد وجدت هذه الأقلام أو الألسنة فى عصورنا التاريخية المتباينة ، وهى التى استطاعت بايمانها حماية الشعب من الطامعين فى الداخل والخارج ·

على أن الأدب العربى الحاضر لا يمكن أن يعيش على أمجاد الماضى فحسب بل لا بد له من أن يتطور وأن يتحرك الى الأمـام ، فلا يقتصر على العواطف الفردية بل يتجاوزها الى المشاعر الجماعية ، مشاعر السخط على الظلم الاجتماعى ، مشاعر الحب للمكافح المناضل ، مشاعر الحماسـة للجنود المدافعين عن وطنهم ، الذائدين عن أرضهم ، مشاعر البغض والحقد على هؤلاء الذين يغتصبون أرضـنا ويشردون أبناءنا واخوتنا واخواتنا ·

ومن رسالةالأدب العربى المعاصر اقتلاع الرواسب المتراكمة من عصور الضعف والانحلال السابقة ، وتثبيت ايمان الطلائع ، وانارة السبيل أمام الضالين المتشككين ، ونزع اليأس من نفوس اليائسين ، وتقوية عزائم المناضلين ·

لقد تغير الزمن وتطورت الحياة والنظم الاجتماعية، وتنوعت أجهزة الثقافة وانتشرت الصحافة واخترعت أجهـزة الاذاعة والتلفزيون والسينما الناطقة ، وتحسنت الطباعة وزادت طاقاتها ـ كل أولئك أحدث ثورة فكرية ، ووثق علاقة الكاتب بالقارىء ، وأصبح لزاما على الأديب أن يخرج من قوقعتـه وأن يزايل برجه العاجى ، وأن يختلط بالجماهير ، ويقـدم لهـا الغذاء الروحى الذى يرفع معنوياتها ، ويخفف عنهـا وقع اعباء الحياة وما تعانيه من صراعات وتمزق اما من داخلها أو ما يقع عليها من ضغوط ·

ان أدبنا العربى المعاصر لم يبدأ عمله الحقيقى فى حمـل رسـالته الجديدة فى العـالم العربى المتغير الملامح والسمات ، انا اذا استعرضنا النتاج الأدبى وجدنا أنه ما زال رجعيا الى حد بعيد فهـو لا يخدم مذهبنا الفكرى بل هو نتاج ذاتى فردى يعبر عن الطبقة المنحلة ، ففى القصـة الطويلة مثلا نرى نتاجنا فيها الأعم الأغلب منه يصور النزعات الشـاذة أو النماذج المنحرفة أو يعبر عن سلوك الطبقة المنحلة ويقوم على المفاجئات والصـدف العمياء ، وهو عرض أكثر منه تحليل للنفس الانسـانية المتأثرة بالزمان والمكان ؛ فأين القصة التى تقوم على أسـطورة من أساطيرنا ؟ وأين القصة التى تستعرض حالة الضياع التى يعيش فيها اخواننا الفلسطينيون ؟ وأين القصة التى تحلل التمزق الداخلى الذى يصيب ذوى المبادىء والقيم فى مجتمع متطور يتصدر بعض قطـاعاته الانتهازيون والوصوليون ؟ وأين القصة التى تصور حيواتنا فى عصورنا الماضية لنفيد من أخطائنا وأخطاء نظمنا السابقة ؟

قد تكون فى بعـض قصصنا أمارات التفتح أو دلالات النضج ولكننا لم نصل بعد الى مرحلة التعمق · ومن العجيب أن ينصرف بعض كتابنا الى معـالجة « اللامعقول » فى المسرح أو غيره ونحن أحوج مانكون الى مسرحيات «معقولة» تعالج مشكلاتنا وما أكثرها !! انى أقدر توفيق الحكيم فى «عودة الروح» و «يوميات نائب فى الأرياف » أكثر مـا أقدره فى مسرحية « يا طالع الشجرة » ·

هل معنى ما تقدم أننى أؤيد أدب « **الالتزام** » ؟ نعم انى أؤيده كل التأييد وخاصة فى مرحلتنـا الحاضرة ، مرحلة الكفاح والنضال ، مرحلة الصراع والحوار العميق ، معركة الحرية ، معركة الاشتراكية، معركة الوحـدة · كما أننى أؤيد اعلان الحرب على الأدب الذى يسميه سارتر « أدب التنصل » أدب الهروب ، أدب السلبية ، أدب الانهزامية لأننا فى حال تطور من مجتمع راكد الى مجتمع متحرك ، فى حالة ضغط مستمر من أجل توفير حيـاة كريمة للانسان العربى ·

لقد تقدمنا فى ثورتنا السياسية أكثر مما تقدمنا فى ثورتنا الثقافية ، وكانت ثورتنا السياسـية أسبق من ثورتنا الثقافية مع أن النقيض هو الذى حدث فى كثير من البلدان ؛ وربما أرجع ذلك الى أننا فى الشرق العربى عانينا من ضغطين ؛ ضغط داخلى وآخر خارجى ، وربما أرده الى أنه لم يوجد لدينـا الأدباء الأصلاء الذين يضحون بأرواحهم وحاضرهم من أجل ما يعتقدون أنه الحق الذى يخدم قضـية الوطن وبالتالى يخدم قضية الانسانية ، أو الى أن الأديب فى وطننـا لم تهيأ له المـكانة التى هيئت للأديب فى البـلاد المتقـدمة ، والمـكانة التى اقصدها هى تمتعه بالنفوذ الواسع العريض بين الجماهير للأمية الكثيفة التى تغطى منطقة الشرق العربى ولم تنقشع عنه بعد ، ولأن أكثر متعلمينا منصرفون عن القراءة الجادة الى القراءات السهلة الرخيصة المتحللة، ولأن الأدباء أنفسهم لم ينزلوا الى الشـعب ولم يمسوا جوهر مشكلاته ولم يحاولوا رفع الشعب المتعلم الى مستوى الجدية والعمق ·

محمد عطا

حول جاهلية القرن الـ ٢٠

بقلم: محمد عبد الله السمان

كان الاستاذ « محمد قطب » على حق ، وهو يقدم كتابه الجديد ويقول :

سيعجب الناس من العنوان ، وسيستنكره كثيرون .. القرن العشرون ؟ الحضارة والمدنية .. العلم والكشوف .. التنظيم والتنسيق .. سيطرة الانسان على الطبيعة .. الذرة والصاروخ ، كل ذلك جاهلية ؟

لقد بلغ الانسان أوجا من العظمة لم يبلغه فى تاريخه كله ، وبلغ من القوة والسيطرة والجبروت مدى لم يحلم به سكان الكوكب الأرضى قبل عشرات من السنين فقط ، فضلا عن عشرات من القرون ، فكيف تقول بعد ذلك: ان الانسان يعيش فى الجاهلية فى هذا القرن العشرين ؟ والقيم التى يعيش فى ظلها البشر اليوم : الحرية والتحرر ، الاخاء والمساواة ، الديمقراطية والعدالة الاجتماعية ، كيف بالله تقول : ان هذا العصر الذى تعيش فيه .. عصر جاهلية ؟ »

مصادفة ورجلان

هكذا وضع الاستاذ محمد قطب نفسه وكتابه « جاهلية القرن العشرين » فى اطار مستحكم من التساؤلات والاستفسارات وعلامات التعجب ، وهو يقدم على قضية شائكة ـ لا لأنها متشعبة الزوايا ومعقدة الأفكار ـ ولكن لأن حيثيات هذه القضية أعدها المؤلف على أساس تفسير جديد لمفهوم الجاهلية لم يتعوده كثير من المتصدين للدراسات الشائكة التى تتسم بالمقارنة والمقابلة القديمة والحديثة من ناحية والاسلامية وغير الاسلامية من ناحية أخرى .

يرى الكاتب أنه لا وجه للصواب فى حصر مظاهر الجاهلية فى الشرك الساذج ، والوثنية البدائية ، وأخذ الثأر ، والمفاسد الخلقية التى كانت سارية فى البيئة العربية ، ولا فى أن الجاهلية هى مقابل ما يسمى العلم ، أو الحضارة ، أو التقدم المادى ، أو القيم الفكرية والاجتماعية والسياسية والانسانية ، انما الجاهلية ـ كما عناها القرآن وحددها ـ هى حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدى الله ، ووضع تنظيمى يرفض الحكم بما أنزل الله ، هى اذن مقابل معرفة الله ، والاهتداء بهديه ، وليست مقابل ما يسمى العلم والحضارة المادية ووفرة الانتاج .

وواضح من اتجاه المؤلف أن منهجه فى هذهالقضية العجيبة الشائكة يحتم عليه أن يعرض صفحة من التاريخ ليبين للناس كيف نشأت الجاهلية الحديثة ، وصفحة من الحاضر ليبين لهم ملامح الجاهلية التى يعيشون فيها ، ثم يتتبع هذه الملامح فى حياتهم جميعا ، فى التصور والسلوك ، فى السياسة والاقتصاد ، والاجتماع وعلم النفس ، والأخلاق والفن ، وكل ما تشمله الحياة من نشاط ، وهذه صفحة ثالثة من الواقع ، وأخيرا صفحة من الاسلام هى الأمل فى المستقبل ، اذا أراد الناس أن ينفضوا عنهم الغبار كله ، ويستووا على الطريق النظيف الصاعد على هدى من الله ..

فى صفحة التاريخ : يقرر المؤلف أن تاريخ أوربا كله تاريخ جاهلية متصلة الحلقات ، منذ القدم كانت الجاهلية اليونانية والجاهلية الرومانية ، ثم كانت جاهلية العقيدة المحرفة فى العصور الوسطى ،وأخيرا كانت الجاهلية الحديثة التى هى ـ فى جانب منها ـ ارتداد الى الجاهلية اليونانية الرومانية ، وفى جانب آخر « تطور » فى الجاهلية استحدثته الداروينية واستغلته عبقرية التدمير من جانب اليهود ؟

وفي التعرض للجاهلية اليونانية والجاهلية الرومانية اللتين هما الأساس الحقيقي للحضارة الأوربية المعاصرة - على حد تعبير الكاتب - يعترف بأن الجاهلية اليونانية تحتوى فنونا وفلسفات ونظريات سياسية وتجريدات علمية نظرية ، وما من شك في أنه كان جهدا بشريا رائعا في تعدد جوانبه واتساع آفاقه ، ولكن هذا التراث لم يخل من الانحراف ، وأبرز مظاهره ، هو أن هذه الجاهلية هي التي أوحت ورسخت فكرة الصراع بين البشر وبين الله أو «الآلهة» عن طريق الأساطير ، وهي التي قدست العقل على حساب الروح أيضا ، وجعلت الأخلاق قضايا ذهنية أكثر مما هي واقع عملي حي . كما يعترف المؤلف بأن الجاهلية الرومانية - وهي جاهلية المادة وجاهلية الحواس - قد أبدعت أشياء كثيرة نافعة للبشرية، الا أن من مظاهر انحرافها ايمانها العنيف بالمادة ، والتضخيم الشديد لعالم الحس ، والعدل الروماني الشهير للرومان فقط .

أما في العصور الوسطى : فثمة جاهلية العقيدة المحرفة ، حيث تم الفصل بين العقيدة والشريعة أو بين الدين والحياة الواقعة ، وحيث امتزجت المسيحية والوثنية ، بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة في الدولة الرومية كما يقول دريبر الأمريكي في كتابه « النزاع بين الدين والعلم » .

واما الجاهلية الحديثة : فهي خلاصة هذه الجاهلية مجتمعة ، وعليها مزيد ، فهذه الجاهلية أولا ، لا تؤمن بالله الايمان الحق ، وهي الخصيصة الكبرى المشتركة بين كل جاهليات التاريخ ، بل هي الأساس الذي تنشأ عنه الجاهلية ، وتنبني عليه كل الانحرافات الأخرى في التصور والسلوك . والسمات المشتركة للجاهلية بعد ذلك ومنها هذه الجاهلية الحديثة ، هي اتباع الأهواء ، ووجود طواغيت في الأرض تفرض على الناس عبادتهم ، ثم الانحراف في تيار الشهوات، أما السمات الخاصة بهذه الجاهلية الحديثة ، فيمكن حصرها في التقدم العلمي، وتبجح الانسان في مواجهة لخالق ، والنظريات العلمية التي توجه الناس الى الانحراف في كل مجال من الحياة ، والفتنة بالتطور ، ثم تحرير المرأة ، وبهذه السمات جميعا أفسدت هذه الجاهلية كل تصورات الانسان وارتباطاته بالله والكون والحياة ، ثم تركت الفساد الى السياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق وعلاقات الجنسين ، والفن ، وفي كل شيء على الاطلاق .

***

ويرى المؤلف في الفصول الأخيرة أنه لابد للناس من الاسلام ، لأن كل ما انحرفت به الجاهلية الحديثة يصححه الاسلام ، واذا كان الانحراف الاكبر الذي أنشأ الجاهلية كلها ، وترتب ما ترتب من فساد في التصور والسلوك ، هو انحرافهم في تصور حقيقة « الاله » ، ومن ثم انحرافهم عن عبادة الله المتمثلة في اتباع منهجه وحده في الحياة ، فان الاسلام يبدأ من هذه النقطة بالذات ، ولم ينفق القرآن ثلاثة عشر عاما في تقرير قضية واضحة أصيلة هي قضية الألوهية ، الا لأنها محور ارتكاز الحياة البشرية كلها ، والاسلام لذلك أعطى الناس قضية واضحة في شأن الالوهية والاعتقاد .

***

والاسلام قدم الانسان في أروع صورة وأبدعها بينما تخبطت الجاهلية الحديثة فجعلته تارة الها وحيوانا في وقت واحد ، ثم جعلته في النهاية عبدا سلبيا ، وفي شتى مجالات الحياة قدم الاسلام مناهج سليمة تقوم على الحق المجرد والعدل المطلق .

وبعد - فالقضية التي عرضها المؤلف في أكثر من ثلثمائة وخمسين صفحة جديرة بالتعمق ، الا أنه أسرف أيما اسراف في اعتبار الحضارتين اليونانية والرومانية جاهلية مطلقة ، على الرغم من أنهما أديا للانسان والبشرية خيرا كثيرا ، وان كان قد نجح في هتك ملامح الجاهليات القديمة وجاهلية القرن العشرين ، الا أنه لم يقدم مقابلا متكافئا من الاسلام وهو يهتك هذه الملامح ليربط ذهن القارىء بالمقارنة التي تؤيد منهجه ، وكنت أود **أولا** : ألا يحيل القارىء كثيرا الى آرائه في كتبه السابقة فيوحي بتكرار المفاهيم التي يطرقها ، **وثانيا** : أن يعنى عناية خاصة بما أصاب الاسلام عقيدة وشريعة من انحرافات أكثر من أن تحصى ، وما دمنا نعتبر الاسلام والاسلام وحده هو الحل الأخير ، فلا بد من تصفيته قبل كل شيء من أوضار الجاهلية الأولى التي أفسدت - الى حد ما - التصور والسلوك في حياة المسلمين المعاصرين .

محمد عبدالله السمان



جمعية الأدباء تقرر

١ ـ حرية التعبير الأدبي

٢ مذكرة لجنة الشعر لا تحجر على الشعراء.

في مساء الاربعاء ٩/١٢/١٩٦٤ اجتمعت الجمعية العامة لجمعية الأدباء في جلسة غير عادية بناء على طلب خمسة وثلاثين عضوا من اعضائها للنظر في مذكرة لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، والتي رفعت للسيد الدكتور محمد عبد القادر حاتم رئيس المجلس ، وللنظر كذلك في طلبات ادرجت بجدول الاعمال بناء على طلب د . لويس عوض .

وقد حضر الاجتماع نحو مائة وخمسين عضوا وتولى الاستاذ السباعي ادارة المناقشة وتكلم عدد كبير من الحاضرين في موضوع المذكرة والمقترحات الأخرى ، وبعد المناقشة اخذت الأصوات على القرارين الآتيين ، فوافقت عليهما الجمعية باغلبية كبيرة :

١ ـ الجمعية تؤيد حرية التعبير الأدبي والفني شكلا ومضمونا كما تؤيد حق التجربة الادبية والفنية ونشرها دون المساس بمبادئ الدولة الاشتراكية العربية وامنها وتقاليد المجتمع العربي التي ينص عليها الدستور والميثاق .

٢ ـ ترى الجمعية انه ليس بصحيح مايقال من ان لجنة الشعر تستعدي السلطات او تريد الحجر على حرية الشعراء .



الأستاذ يوسف السباعي

● يصدر قريبا كتاب « التوراة والانجيل » عرض وتحليل للدكتور فؤاد حسنين ، ويدور حول التعريف بالكتابين المقدسين وما تعرضا له من تطور على مر السنين .

● تقيم اسرة اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية مساء اليوم ندوة شعر .

● تقيم جمعية الأدباء في السابعة من مساء الاربعاء القادم ندوة شعرية يقدمها الشاعر عبده بدوي ويشترك فيها الشعراء: عامر بحيري ، روحية القليني ، وفاء وجدي ، احمد لطفي ، د . عفيفي محمود ، محمد الجيار ، فتوح احمد ، محمد احمد العزب ، كامل امين ، اسماعيل الصيفي ، البيلي عبد الحميد .

● ديوان « من بقايا الكاس » للشاعر طاهر الجبلاوي ، يصدر عن الدار المصرية للتاليف والترجمة .

لا تكذبى

يبدو لى ان «نقد الحبيب» نقدا صارما ومحاسبته **الدقيقة .. من علامات تقدم السن عند المحب ..** وان الشباب يدفع الى التغاضى واخذ الحبيب على علاته .. ولعل هذا يدعو الى عدم التفكير فى الزواج.

دار ذلك بخلدى وانا اقرأ الديوان الجميل – شكلا وموضوعا – الذى صدر اخيرا للاستاذ كامل الشناوى بعنوان اغنيته المشهورة « **لا تكذبى** » وهى احدى قصائد الديوان .

والواقع أن ذلك العنوان ينسحب مدلوله على كثير من شعر الديوان ، من حيث مواجهة الشاعر للحبيبة بالتهم التى يسوقها همساً رقيقا برغم صرامة النقد .. حتى فى قوله لحبيبته :

يا حيتى الرقطاء ارشف سمها يوما
لأحلم بالمنون سنينا !!
فدست من دنياى كل شرورها
يا حيتى فهواك أصبح دينا !!

وخطر لى ايضا – بهذه المناسبة – مايغنيه عبد الوهاب أخيرا من مثل « لا ، مش أنا اللى ابكى » وما تشدو به ام كلثوم من مثل « حب ايه اللى انت جاى تقول عليه »

واريد ان اقول بعد : **ان ذلك يدل على الصدق والصدق هو احدى سمات شعر كامل الشناوى ،** الى ما يتوافر له من خصوبة الشاعرية وجمال التعبير عن وجدان الانسان المعاصر وافكاره .

وبتلك السمات يترقرق ماء الفن فى الوطنيات التى اشتمل عليها الديوان الى جانب مبدعاته فى التعبير عن الوجدان الخاص .

● الدكتور عبد القادر القط يرى – فى حديث بالاذاعة – انه كان يجب علينا أن نتريث فى أمر مجلة « حوار » حتى يبحث هذا الأمر فى جمعية الأدباء ...

لماذا اذن لم يتريث فى حديثه ذاك حتى تنظر فيه جمعية الأدباء ؟!

ولماذا لم يتريث فى نشر الأشعار السخيفة والمقالات التى تشيد بشعراء « اللاقومية عربية » فى مجلة « الشعر » – حتى تعرض على جمعية الأدباء ؟!

● **« ابن الوز عوام »**

خطر لى ذلك وانا اقرأ القصة التى ظهرت اخيرا فى مكتبة الأطفال للأستاذ رشاد كامل كيلانى بعنوان **« مصيدة الفيران – قصة اسرائيل »**

سرنى ان أرى « رشاد » يتلقى الراية من والده المرحوم **كامل كيلانى** الذى نشأ جيلا بمؤلفاته للأطفال وكاد يخلو بعده مجال التأليف للناشئة . وقد اعجبنى من رشاد اتجاهه الى الواقع الحاضر يتناوله – فى هذه القصة – القضية العربية الكبيرة فى فلسطين بأسلوب قصصى جذاب ولغة عربية فصيحة جميلة تذكرنا بلغة كامل كيلانى السلسة السهلة القوية المبينة .

● أعتقد أن السهرات (الصباحى) ليست من سمات المجتمع الاشتراكى الذى يحرص على التبكير والعمل والنشاط بعد أخذ القسط الكافى من النوم ليلا . **كانت تلك السهرات عادة « أبناء الحظ » من الذوات والمتعطلين بالوراثة وامثالهم** الذين يعربدون بالليل وينامون أكثر النهار ويتسكعون فى (العصارى) وينتظرون فى المقاهى موعد السهرة .

ويحسن مسرح الجيب اذ يجعل عرض مسرحياته يبدأ من منتصف الثامنة مساء وينتهى فى نحو العاشرة . ولا بأس بما يصنعه المسرح القومى اذ يحرص على رفع الستار فى التاسعة الا ربعا وتنتهى مسرحياته فى نحو الثانية عشرة .

ونود ان تأتسى بذلك المسارح التى لا تزال تتأخر فى مواعيدها . وكذلك تمثيليات السهرة والأفلام بالتليفزيون .

عباس خضر

حول الأدب في أسبوع

بقلم عبده بدوى

الشعر والغضب

يمكن أن يقـال انه كانت في جمعية الأدباء ثلاث قوى تتمثل فى لجنة الشعر ، وفى الموقعين على مذكرة لمناقشة وجهة النظر التى تقدمت بها اللجنة ، وفى الحيـاديين الذين كان عليهم أن يرجحوا واحـدا من الجانبين :

ووسط هـذه الدائرة جلس **يوسف السباعى** لادارة هذه المعركة ، وقد أشفق البعض على الرجل ، فقد كانت هناك محاولات للاثارة ، وكان هناك غضب ظل ينمو حتى خيل للكثيرين أن هـؤلاء المجتمعين لا ينتمون الى أسرة واحـدة هى أسرة « الكلمة » بل لقد توهمت انى لو أشعلت عـود ثقاب فى هـذا الجو لدوى المكان بالانفجار ، فقد كان كل شىء يغلى فى الصوت ، والحركة ، والوجه ، حتى لقد وصلت العدوى الى « الحياديين » فرأيناهم هم الآخرون فى هيئة من يدافعون عن أنفسهم فى ميدان قتال .

وقد كان من رأى لجنة الشعر ـ وممثلوها صالح جودت وعلى الجندى وعلى باكثير ـ أن من اللياقة عدم مناقشة مذكرة اللجنة ما دامت أمام نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومى ، وقد أيد هـذا عباس خضر وذكر أن المذكرة تشبه القضية المنظورة أمام القضاء ، وأن علينا الا نصدر هنا قرارا بشأنها، وترد الدكتورة سهير القلماوى بأن القضية التى أمام القضاء تختلف عن القضية هنا ، وأن المذكرة مادامت قد نشرت فان من حقنا أن نناقشها ، ويرد عامر بحيرى بأنه هو شخصيا يتحمل تبعة نشرهـا ، وأن اللجنة لم تكلفه بهذا ، بل انها فوجئت بالنشر .

وترد الجبهة الثـانية ـ ويمثلهـا عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد عبد المعطى حجازى وصـلاح عبد الصبور وملك عبد العزيز ـ بأن من الضرورى مناقشة المذكرة لأن فيها حجرا على الفن ، ولأن مراعاة اللياقة مسألة تخص لجنة الشعر ما دامت قد تقدمت بها ، ولأنه لا علاقة بيننا وبين نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشـاد لأن العلاقة بيننا نحن ، ولأنه ما دامت فيها ظاهرة ادخال السلطة فلا بد من اصدار توصية بحرية التعبير .

وحين تنتهى هذه الجبهة من الادلاء برأيهـا ترجح كفة مناقشة المذكرة ، وتقرأ المذكرة ، ويحتج صوت على طريقـة القراءة ، ثم حين تنتهى القـراءة ، يذكر أنور أحمد أنه لم يكن قرأها من قبل ، وأنه لا يرى

فيها ظاهرة الاستعداء التى تكررت بين الحين والآخر ، وان ما كتب عنها فى الصحف والمجلات يعتبر مبالغة لا شك فيها .

ويقف عزيز أباظة ليقول ان ظاهرة الاستعداء ليس عنيها دليل فى المذكرة ، وانه يقرر انه لم يجل فى ذهن احد أن يقف أمام أى نوع من أنواع التجديد ، فكافة المحاولات تترك ليباشرها من يشاء ، فاذا ثبتت كان لا بد من اضافتها، أما ما قصدته اللجنة بمذكرتها فانه لا يخرج عن كونه اعتراضا على شيء من « الظلم » فى مجلة الشعر ، حين رأتها تهمل محاولات ما يقرب من ألفى سنة فى عالم الشعر ، وتتبنى محاولات عمرها الزمنى ضئيل ، ومن هنا فقد كان لنا طلب متواضع لا يخرج عن كونه المطالبة برفع « الحجر » عن الشعر القديم كما يسمونه ، والشعر الأصيل كما نسميه .

ثم انا لم نستعد الدولة ، فلجنة الشعر تتبع المجلس الأعلى ، والمجلس الأعلى له رئيس ليس منفصلا عنا ، وقد رأينا ازاء هذا الظلم أن نقول له ما دامت لجنة الشعر تصدر عن وزارته « اعمل معروف افسح مجالا للشعر الأصيل » أما الاشراف — كما ذكر — على كافة النواحى الخاصة بالنشر فشيء لا تتحمله المذكرة ولم يجل فى خواطرنا ، والاشراف الذى نقصده هو « الاشراف بالرأى » ، فلم هذا الظلم ؟ ولم تدخل الضغينة بيننا الى هذا الحد ؟ يجب أن نتذكر قول شوقى :

اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية !

ومن الملاحظ أن الحديث بعد هذا أخذ يتمو له وجه سياسى ، فقد ذكر **صلاح جاهين** أنه كان لا بد له من أن ينزل بعنف الى المعركة ، لأن هناك أشياء كثيرة غيرت أشياء جوهرية فى حياتنا ، فنحن مسئولون عن الناس ، ومن الواجب أن نقول ماذا فعلت اللجنة لاطعام الناس روحيا ، ان ما فعلته لا يخرج عن كلمة « التجميد » ثم « التجميد » .

ثم يذكر **لطفى الخولى** أن المسألة فى جوهرها تيار جديد يقاوم من تيار قديم ، وأن من حق التيار الجديد أن يطلب حق « التواجد » وحق الصراع مع التيار القديم ، ولا بد أن يتم هذا الصراع ، وأنه ليس من حق أحد ابتداء من أكبر سلطة الى أدناها أن يوجه الحياة الفكرية بناء على توصيات وقرارات، والقول بأن نائب الوزير قاض يحكم فيما يتصل بالابداع الفنى قول لا يمكن أن نأخذ به أو نقبله ، ومن هنا فنحن لا نطالب بأخذ قرارات وانما نطالب بسحب المذكرة .

وترتفع الأصوات هنا وهناك ، وتقرأ أبيات من الشعر فيها تعريض بمصر وبالوحدة ، وينهر أديب آخر ، وتتحول القاعة الى برج بابل ، ويظهر الغضب فى وجه وصوت يوسف السباعى وهو يقول : أقترح التصويت على قرارين ثم يقرأهما ، وترتفع أصوات بالمعارضة فيحتكم الى الرأى العام بالقاعة ، وحين توافق الأغلبية يقرأ القرارين الآتيين :

١ — الجمعية تؤيد حرية التعبير الأدبى والفنى شكلا ومضمونا ، كما تؤيد حق التجربة الأدبية ونشرها دون المساس بمبادىء الدولة الاشتراكية العربية وأمنها وتقاليد المجتمع العربى ، التى نص عليها الدستور والميثاق .

٢ — ترى الجمعية انه ليس صحيحا ما يقال من ان لجنة الشعر تستعدى السلطات او تريد الحجر على حرية الشعراء .

وتؤخذ الأصوات فاذا بموافقة شبه اجماعية على هذين القرارين ، وينصرف الجميع وهم يحملون فى وجوههم وأصواتهم توترا يصل الى حد الغضب ، وتحس أن الجميع وهم يسيرون لا يعرف بعضهم بعضا ، وانه لم تكن عند البعض رغبة فى التلاقى ، فقد كان هناك من يعمل على حل اللجنة ليجد له مكانا فيها ، وكان هناك من يعمل على نسف الشعر المتجدد ، ومن يعمل على نسف شعر التفعيلة ، ومن يعمل على نسف الشكلين معا ، ومن يضع مفهوما سياسيا يقول بالنسف لا التقريب بين وجهتى النظر .. ثم كانت هناك أيضا تلك القوة الكبيرة التى استطاعت أن ترجح ظهور القرارين السابقين ، والتى اعطت بحق درسا للمغالين فى كل من الجانبين ! أما أنا فقد التشبيت بحق من تأكيد حرية التعبير الأدبى والفنى شكلا ومضمونا .

* *

على هامش الغضب :

● كان المحور الذى جلست فيه مكونا من الدكتور لويس عوض وصالح جودت وعامر بحيرى، واذكر انا لم نكف عن الحديث وعن الابتسام فى الوقت نفسه . وقد نبه هذا البعض فمد أذنه نحونا، واذكر انى تلقيت اكثر من ضربة فى كتفى ، وأن

كثيرين كانوا يرغبون في معرفة ماكنا نتحدث فيه ، ولقد أكد لنا الدكتور أكثر من مرة أنه ليس ضد الشعر العمودى ، وكان صالح جودت يردد فى كل مرة « واضح ٠٠ واضح جدا يا دكتور » ، وكان عامر بحيرى يقول له ، لقد أحسنت التوقيت فى الاساءة الى الاسراء والمعراج فى نفس ذكرى الاسراء والمعراج ، وكان الدكتور يرد بأنه اعد هذه الحلقات من فترة كبيرة ، وأن ما حال دون ظهورها مبكرا هو سقوط خروشوف ، ثم الانتخابات الأمريكية ، ويقول لى الدكتور لقد أسات الظن بى ، واقول له وما الذى يعنيه وضع خمسة اعمال فى شهر واحد داخل دوائر مسيحية ، وهل يجرؤ الدكتور مندور مثلا على تفسير مثل هذا التفسير؟ وهل لو فعل نصف هذا ماكانت تناوشه مئات الأقلام بدلا من قلم واحد؟ ومع أنا كنا مختلفين الا أنا كنا نتحدث مثل افراد أسرة واحدة ، ولكن الذى كنت الاحظه انا كنانسرف فى كمية الابتسام بالرغم من التوتر الذى كان يسود المكان ٠

● حدثنى الدكتور **عفيفى محمود** انه اخذ على الدكتور لويس عوض قوله انه فى صف الجيد من الشعر ، وطرحه على المجتمعين سؤالا يقول « هل أرسل واحد منكم لى شيئا من شعره ؟ » ذلك لأنه طلب « دسيها » من الاستاذ ماهر فى جريدة الاهرام، ثم أخذ يقلبه أمام عدد من الحاضرين ، ثم قال : ان هذا الدوسيه يضم قصائد للشعراء عزيز اباظة ، ومحمود حسن اسماعيل ، وعلى الجندى ، ومحمود عماد ، ولكنه لن ينشرها ٠

ويعقب الدكتور عفيفى محمود بأنه كان واثقا بأن مجموعة الشعر التى كان يضمها الدوسيه ، كانت عاجزة عن « اثبات الحالة » التى أراد الدكتور لويس اثباتها :

● بعد أن قرأ **صالح جودت** أبياتا لعبد الوهاب البياتى يهاجم فيها الجمهورية العربية المتحدة ، والوحدة مع سوريا ، كان يتهيأ لهجوم آخر على محمد الفيتورى بقراءة بعض ما قاله فى الهجوم على مصر وسياستها فى الفترة الاخيرة ، قد تنبه لهذا الفيتورى وتململ فى مقعده ، ولكن المعركة أخذت اتجاها آخر ٠

● ذكر **عبد الرحمن الشرقاوى** ان لجنة القصة لها رأى كذلك فى الاشراف على مجلة القصة ٠

● كان احمد عبد المعطى حجازى حريصا على ان يؤكد أن الشكل الجديد لا يلغى الشكل القديم، وأن كلا منهما قادر على التعبير فى هذه الفترة ٠

● حين أخطأ لطفى الخولى فى ذكر احمد عبدالمعطى حجازى ، وسماه أحمد عبد العاطى ، مما جعل يوسف السباعى يسأل عن حقيقة الاسم ، سمعت تعليقا يقول « ومن يخطىء فى اسم الشاعر المشهور ، انه بلا شك الخطأ المقصود »

***

انسى ومندس :

الى الزملاء الذين كتبوا الى فى أن الشاعر أنسى الحاج ، قد يكون مضطرا فى ترديد مقطع « جسدى امرأة » فى قصيدته ، الى هؤلاء أؤكد ان هذا النص الذى سبق أن ذكرته ماكان ليستلفتنى؛ لولا اقترانه بعملية « التنصيب الشعرى » له فى الجمهورية العربية المتحدة ، والتى قام بها هانى مندس حين قدم ديوانه « لن » ، والذى ذهب الى أننا من الف عام ونحن عبيد وجهلاء وسطحيون ، وأن الخلاص لن يكون الا فى العمل الثورى — على حد تعبيره — المسمى قصيدة النثر ، والتى تقوم هذه القصيدة فى جوهرها على «رفض كل المقدسات والبناءات المتعارف عليها وفى مقدمتها الأخلاق فالأخلاق تحد من ممارسة الانسان لانسانيته وتمنعه من تفتح ذاته ونموها »

وانا أضع أمام الزملاء لونا من أعمال أنسى الحاج من أول فقرة تقع عليها العين ، ولعله من خلالها يظهر لنا سر اعجاب هانى مندس بها ، فهو يقول — مع ملاحظة عدم وجود أخطاء مطبعية ٠

• جئتك يا قطيع من صخرة نحيلة رسول هاجس متسربا ٠

من الجدار خائنا ، ساشطف لك الارض ٠

انزلت بعائلتى عقاب الموت

الموت للزهرة الخالدة ٠

الموت للعمالة المضمدين بالنساء القاطنين على الحشائش ٠

أخافهم وأبرأ منهم ، أرى قبضتى مائعتين خسرت كل دمائى ، من يسمع كلمات جافية ٠

أنا الشاعر ٠

شجرة الغيلان ، رحم الصحارى .

تقدموا .. تقدموا ، أنا صنم .

نحن جبال السم، ثعالب الضباب ، ينضب أطفالنا

الينابيع ، يولدون من التالول ، يسفسلون الفجر .

نساؤنا على الشرفات يصطدن الحلجات ويحصين الاجانب .

نحن جربكم وانتم اهل الصبر .

نخش فيكم (تفتحين يا امرأة فنعصرك وتغلقين فنهدمك) .

نخش فيكم ! لاخير فيكم .

تعروننا وتسجدون لنا نعريكم !! لا خير فيكم .

جسدى وحيد ومضحك !!

وما من منقار يخدش كفى !!

وما من ظامىء الى .

أنت يا آخر الضيوف تعال ، فى أحضانك المنهارة أترك نفسى .

انتزع نخاعى الملوث

ومسرعا .

افقد الكل ذاكرتى .

ويقول ـ زاده الله شعرا على شعر ـ فى قصيدة بعنوان الفيض .

وقصيدة بعنوان البقاء للموتى .

● لفظته شرنقة متفحمة .

ومن صدره تيار يرفع السقف .

ذهب منه غراب ليحوم فوق المسك الممضوغ والاجناس المطفأة .

أشعل الظلام المطل لفاقة الاستمناء الكبيرة .

● الموتى يقطع المواصلات ولا أحد يجده انه فى الحصن ، كل من معه سيول لفمه ، انه صحيح يدك الجثث بسماد البقر .

كنت ساقبض عليه لو لم أر بعينى هاتين الكاهن الذى عرفنى ينتحر .

وارجو العذر فى ذكر كل هذا ، فالشاعر من كبار الشعراء فى لبنان ، ولانى ربما كنت أقدم صورة من «شعر المستقبل» لانه ليست بيننا وبين هذه النماذج الا خطوة او خطوتان ، فقد انتهى الشعراء اليها حين لم يقفوا عند حد «التفعيلة الصحيحة» وانما تجاوزوا عنها الى التزحيف والاعلال ، واعتقد اننا الآن فى هذه المرحلة ، ثم كانت الخطوة التالية هى قصيدة الثرثرة ، ثم تجاوزوا هذه المرحلة الى المرحلة التى سموها «شعر بنثر» .

ترى هل سنصير الى هذه المراحل ، والى ما يجد بعد ذلك ، انا شخصيا أعتقد أننا نسير فى هذا الطريق .

***

مع افريقية :

لازلت أذكر نظرات الاستنكار التى كنت كثيرا ما اقابل بها حين كنت أطلب من كاتب مقالا عن اى جانب من الجوانب الافريقية لمجلة «نهضة أفريقية» ، وقد جاء اليوم الذى أصبحت افريقية فيه لا تقف عند حد الأخذ ، وانما تتعداه الى العطاء ، ففى القاهرة شاهدنا فرقة أوغندية للفنون الشعبية ، ومهما يقل عن قلة تدريبات الفرقة ، وعن سذاجة الديكور وصراخ الايقاع ، الا أن المشاهد كان يحس انه امام شىء جديد ظل محروما منه طوال عمره ، فقد كانت الفرقة حريصة على أن تقدم ببساطة الحياة التى يعيشها المواطن فى افريقية ، والتى يتحول فيها كل شىء الى فن .. فالقرية فى الليل ترقص ، والمحبون لايكفون عن الغناء ، فاذا أطلت الشمس الاستوائية على البشر ، رأتهم فى كافة أعمالهم يرقصون أويغنون على صوت الطبول ، حتى ليبدو كل شىء كأنه يأخذ مكانه فى أوركسترا كبير ، ثم يأخذ فى ممارسة الحياة .

رقصة رقصة ونغمة نغمة !

ونجاح هذه الفرقة الأوغندية يذكرنا بفرقة نيجيرية تلهب الأكف الآن فى لندن ، ولا تقتصر عروضها على المسارح ، وانما تقوم بتقديم هذه العروض أيضا فى الميادين العامة .

أما الفيلمان اللذان شوهدا أخيرا فى القاهرة فقد كانا : «انتصار افريقية ، ومقتل طائر برىء» ، واذا كان الاول يقدم صورة مزيفة لافريقية من خلال نكتة

عسكرية ، ونرى فى نهايته أحد الجنود يسير فى خطوة عسكرية متكبرة بعد أن تلقى أمرا بالطرد ..

اذا كان هذا الفيلم لايقدم لنا الافريقيين الا فى حالة «هياج» ، فان الفيلم الثانى يتعرض لمشكلة التفرقة العنصرية فى عمق حين تدعى فتاة بيضاء على أحد السود بأن حاول اغتصابها ، واذا بالمحامى (الذى يمثل ضمير الرجل الابيض) يثبت أن هذا الانسان الاسود يعجز عن اثبات حالة الاغتصاب التى روتها الفتاة ورواها والدها كذلك ، ذلك لان احدى يديه تعجز تماما عن القيام بالحركات التى روتها الفتاة أمام المحكمة ، واذا كانت المحاكمة ترمز الى ايجاد تبرير لاستمرار الظلم على كل انسان أسود لولا يقظة الضمير الممثلة فى المحامى ، فان خلق جو من الرعب الدائم ممثلا فى وجود شخص مجنون يحاول الاعتداء على الاطفال، ثم قيام والد هذا الطفل المجنون بقتله حين يراه يهم بقتل ابن المحامى ، كل هذا كان يعتبر خلفية موفقة فى الفيلم ، وكأنه كان يذكر دائما بأن على الذين انحدر من أصلابهم هذا الطفل المجنون الذى يمثل التفرقة العنصرية ، لابد لهم من قتله ، ثم يظهر بعد قتله - فى الفيلم - ان الحياة جميلة ، وجديرة بأن يعيش فيها الانسان .

ترى هل يتحقق لنا ان نسهم بشىء فى هذا المجال الجاد ، فى وسط هذا الزحام المتشابه والرتيب الذى يلون افلامنا .

مهما يكن من شىء فانا أرشح للمسئولين قصة «ابك يابلدى الحبيب» تاليف (آلان بيتون) .

كما أرشح قصة «تقوب فى السود الأسود» تاليف احسان عبد القدوس ، فهى من بعض جوانبها يمكن أن تعطينا النكهة الافريقية التى يمكن أن تحد من الملل والرتابة فى أفلامنا .

عبده بدوى

ذكريات

للشاعر : محمد مصطفى الماحى

ياحبيبى ذكريات الأمس فى قلبى اغانى
يا حبيبى ذكرها الخافت وضاح المعانى
قد تبدت صوب عينى وتراءت فى جنانى
وتمشت فى شعورى وعروقى وكيانى

يوم أن كنا سويا وبقلبينا سعير
نسبق الفجر ونمضى كلما حث المسير
قد طوينا الأرض مشيا واردنا أن نطير
موكب الدنيا يغنى والمنى لحن يسير

يوم أن كنا سويا تحت اغصان الشجر
نقطع الوقت كلاما وحديثا وسمر
ونرى الأمواج تشوى بين أحضان النهر
ليلنا المفتون عمر ليس يدريه القدر

يا حبيبى ذكريات الأمس اشراق الصباح
وهى فى نفسى أغاريد وشدو وصداح
وهى فى الروض شذاه وهى فى نور الأقاح
شدوها يملأ نفسى فى غدو ورواح

واقعية تيمور في «انتصار الحياة»

بقلم: فتحي الإبياري

مازال تيمور يفاجئنا كل عام بعمل أدبي، تتمثل فيه روحه الخلاقة ، وابتكاراته الطريفة. مرة يطالعنا بمجموعة أقاصيص نادرة الخلق الفني والصياغة والحبكة القصصية . ومرة اخرى يطالعنا بكتاب يضم رحلة قام بها مثل « شمس وليل » ورحلاته في ايطاليا . ثم في الشلال اخيرا ، ومرة ثالثة بكتاب يضم عددا من تمثيلياته التي اطلق عليها اسم « خمسة وخميسة » . ثم اخرجت لنا المطابع مجموعته القصصية الاخيرة « انتصار الحياة » التي تضم عشر اقاصيص . وليس انتصار الحياة مجرد عنوان لاحدى قصص تلك المجموعة ، ولكنه هدف كان يلوح في كل قصصها وراء ما تعرض من احداث ، وما ترسم من شخصيات ، فهي تبرز ما في النفس الانسانية من قوى تكافح اليأس والتردد والجمود ، وتدفع الى التفاؤل بالمستقبل ، والانتصار في معركة الحياة .

وتمثلت في تلك المجموعة القصصية واقعية تيمور . التي تختلف اختلافا واضحا عن مفهوم تلك الكلمة كما حددها البعض في اطار خاص يهدف مذهبا معينا . فاحيانا قصد من الأدب الواقعي ، الأدب الذي يقوم على ملاحظة الواقع وتسجيله ، لا على صور الخيال وتهاويله . واحيانا اخرى فهمنا انه الأدب الذي يستقي مادته وموضوعاته من حياة عامة الشعب ومشاكلها . وقصد بالأدب الواقعي ، انه الأدب الذي يتناول مشاكل المجتمع ومظاهر البؤس والفاقة التي ترزح تحتها طبقات الشعب العاملة بسواعدها او بعقولها ، وذلك لايقاظ وعي الجماهير ، ودفعها الى حل تلك المشاكل بطريقة او باخرى .

ورأى آخرون ان الواقعية مذهب ينادي بتسجيل الملاحظات والمشاهدات في غير سلطان للمؤثرات الداخلية من عواطف الكاتب واحاسيسه ، وفي رعاية تامة للموضوعية الخالصة ، وترصد يقظ للتجربة الحية ، واستيعاب دقيق لما في الحادثة او المشهد او الشخصية من معالم خاصة ، وتفاصيل وافية ، وفي التزام نزيه لموقف الحياد امام معترك الحياة والأحياء .

وتوخى هذا المذهب وصف المجتمع الانساني على حقيقته في أمانة وصدق . فهو يقيم التحليل مقام التخيل ، ويحل المنظور محل الموهوم ، ويؤثر الواقع الحسي والطبيعة الظاهرة ، على سبحات العاطفة ، وهتفات الوجدان .

ولكن .. كيف كان موقف تيمور من هذه الواقعية التي انتقل اليها بعد انغماسه في الجو الرومانسي طويلا . ولكن اية واقعية تلك التي ملكت عليه فنه . انها ليست بالواقعية المذهبية التي يحدد النقاد ابعادها بالقياس ، وانها كذلك ليست واقعية ابتدعها لنفسه . ولكن واقعية ، كانت تتطور وتتشكل طوعا لما يطرأ عليه في مراحل عمره ، من تطور وتلون وتشكل في العقل ، والثقافة والنفسية . ومدى الاستجابة للتجارب الحيوية والتأثر بملابسات المجتمع الذي يحيا فيه .

ففي الاقصوصة « خرفان » صور فيها تيمور ، نفسية كمال التواقة الى مباهج القاهرة ومسراته ، ولكن واقعه العنيف يشده الى قريته بعد أن مات ابوه الشيخ « مأمون الحفناوي » ، تاركا له عرش التقاليد لكي يحافظ عليه . ومن اهم تلك التقاليد ، ذبح الخروف ، صباح يوم عيد الاضحى . تلك العملية التي كان كمال يقشعر لها بدنه . ولكن بعد ان انغمس في واقعه الجديد المتمر استل سكينه ، وهوى به على رقبة الخروف دون خوف .

ويرسم تيمور في الاقصوصة «عهد جديد» صراع الانسان ضد اليأس ، وتمسكه بحب البقاء . فالأيام تمر ، وعجلتها تلف معها من يحيا فيها ، خاضعا للظروف والملابسات من حوله ، في رتوب وركود . ومن الناس من تكمن بين جنبيه – دون ان يدري – يقظة الحياة ، ونزعة التطور ، مرتقبة ساعة الانطلاق وفرصة التحرر ، وان فات الأوان ، وحان اليأس . وكم في الناس من مثل « معروس » يحدوه حب البقاء ، وخشية الانزواء ، الى النهوض بعمل مجيد ، واستئناف عهد جديد .

و « معروس » هذا كان رئيسا لقلم الترجمة في وزارة المالية . وبرع تيمور في وصف حال هذا الرجل الذي جعل كل حياته تنحصر في عمله . ولكنه فوجئ باليوم الموعود .. يوم الاحالة على المعاش . فلم يأبه لهذا الأمر ، الا كيف يتنازل عن رياسته لموظفيه ، وان يتنازل عن مكتبه . فما كان منه الا ان واظب على الحضور مبكرا جدا الى الديوان ليجلس على كرسيه ، بحجة انه يعد العهدة ليسلمها الى الرئيس الجديد الذي كان يعمل موظفا عنده . ثم وقعت احداث طريفة بين « معروس » والرئيس الجديد .. أدت في النهاية الى ان يعترف معروس بانه فعلا احيل الى المعاش ، ولو انه في قرارة نفسه لا يعترف بهذا الحكم الخطأ . فما كان منه الا ان افتتح منتدى عصريا للاشربة الفاخرة . وبذلك خلق لنفسه وظيفة تتيح له ان يشبع نهمه الى الأبهة والعظمة والسلطان . وظيفة

لا رئيس فيها الا هو ، ولا معقب لقوله ولا مراجع .. وظيفة ثابتة على الزمن ، لا تخضع لقانون الاحالة الى المعاش .

وفي اقصوصة « انا .. والعصفور » والعبة انسانية شفافة ، تكاد تقترب من الواقعية المثالية ، اذ تمكن احد الشبان من التقاط ورقة مالية كانت قد سقطت من « غني حرب » كان يريد ان يشتري شيئا من احد التاجر . وقد عرض عليه التاجر عصفورا في القفص ، ولكن « غني الحرب » يرفض شراءه بخمسين قرشا لانه لا يساوي خمسين مليما .. وقال له : « انه مضغة صغيرة ، لو القيت بين اسناني ، لما احسست لها من كيان .. واستطاع ذلك الشاب ان يلتقط الخمسين قرشا التي سقطت من جيب الغني ، الذي غادر المتجر . ثم تقدم من التاجر ، ودفع له الثمن وخرج بالعصفور الى الطريق وفتح له باب القفص .. فمرق منه مروق السهم . وعندئذ احس الشاب بانه ايضا قد انطلق من عقال ، واتاح لروحه ان تنعم بفيض من راحة الضمير .

اما صورة الصراع العنيف ، بين الانسان وبين نزعاته للبقاء والفناء ، فقد رسمها بلمسات بارعة في قصة « انتصار الحياة » . وتحكي قصة طبيب كان ينشر عدة مقالات في مجلة .. عن « افضل الطرق للانتحار دون الم » وكان في نهاية كل مقال يعد القراء بذكر الطريقة في المقالة التالية . ثم توقف عن الكتابة . وفوجيء ذات مساء بفتاة تقتحم عليه عيادته ، ويدور حديث رائع ، تظهر فيه براعة تيمور الفائقة .. وتسأل الفتاة الدكتور :

ـ اجبني ماذا عدل بك عن انفاذ فكرة الانتحار ؟

ـ غريزة حب البقاء .. انها غريزة قاهرة ، طالما انبثقت فجاة ، في الساعة الحاسمة ، فانقذت المنتحر من الردى .

ـ ليست غريزة حب البقاء من الغرائز النبيلة .

ـ كيف ؟

ـ اجل ان غريزة الموت ، غريزة تدمير الذات ، يتمثل فيها النبل والرفعة والاستعلاء على صغائر الحياة ، ومذلة البقاء .

ـ هذه انتفاضة شعرية ، ليس فيها تفكير اجتماعي .

ـ عندما تنهار امامك القيم الفضلى ، والمثل العليا ، عندما تجد نفسك وقد ضاقت بك السبل ، وليس لك من حيلة الا ان تحني هامتك للاذلال ، تخف اليك هذه الغريزة الكريمة ، غريزة تدمير الذات ، فتاخذ بناصرك ، وتنجيك من الحطة والخسة والهوان .

ـ لا تنس ان غريزة حب البقاء ، هي غريزة التعمير والبناء ، وهي التي لها الغلبة والسلطان .

ويستمر الحوار في سلاسة عذبة ، معالجا ذلك الصراع الابدي بين الحياة والموت .. بين الفناء والبقاء . وتكشف لنا القصة ، ان الفتاة قد جاءت الى الدكتور صاحب المقالات عن « افضل الطرق الى الانتحار » لتعرف منه سر الدواء الذي اكتشفه ليريح المنتحر من العذاب . وصور تيمور مشهدا غراميا ملتهبا عنيفا بين الدكتور والفتاة ، حتى اذا شعرت الفتاة بان الدكتور على وشك ان يفقد وعيه ، طلبت منه ان يبوح لها بسر دواء الانتحار . وفي لذة وهدوء ، وبدون وعي باح لها بالسر الذي لم يكن في باله ان يعلنه قط . وعندئذ اخذت الفتاة « تصل كليوباترا ـ وهو اسم الدواء ـ واختفت .

وبعد مرور عامين .. فوجيء الدكتور بكتاب يصله ، وبه رسالة قرا فيها :

« .. لم اكذب عليك عندما قلت لك في تلك الامسية المشهودة منذ اكثر من عامين .. عندما قلت لك اني « جامعية » بيد اني كنت جامعية هجرت الدراسة في سنتها الاخيرة ، وانسقت في غمار عاطفة هوجاء ، يسمونها الحب ، واسميها انا « الخبل والضلال » ولم اكذب عليك ، الكذب كله ، حين قلت لك : اني اعد بحثا عن « الانتحار » هو موضوع رسالتي لنيل اجازة الماجستير . لم يكن بحثي الذي شرعت اعده وقتئذ سوى « حياتي » اصولها واعيشها ليتة الخيرها بنفسي ، واقوم على تنفيذها بنفسي ، كان سجل حياتي في تلك الفترة العصيبة هو رسالتي الجامعية الكبرى ، وما امتحان « الماجستير » الا امتحان روحي ، ساعة مفارقتها لجسدي ، التافه المرذول !

ولم يكن لي من الانتحار بد ، فكرته تاصلت في اعماق نفسي ، وسرت مسرى الدم في عروقي . وكيف استطيع ان اواجه الحياة وقد ذهبت اماني الغوال بددا ؟

انهارت امال تحت ثقل خيانة وغدر .

يا له من غادر غدور !

لم ابخل عليه بالمعز ما تحرص عليه الفتاة ، اسلمته نفسي ، ووثقت به كل الثقة ، ولكنه لم يف بما وعد ، وادبر عني ، تاركا لي العب ، وحدي ثم راح ينتحل لنفسه المعاذير .

ولكن مقالات الدكتور التي نشرها حين اختفت الفتاة ، مبينا فيها حلاوة الدنيا وحب البقاء ، اعادت الثقة الى الفتاة . اذ كان يكتب المقالات بوحي من قلبه ، لانه شعر نحوها بحب غريب منذ عاش معها لحظة سعادة ، ارتشفا فيها رحيق الحب .

وقد عبرت كلمات رسالتها عن هذا قائلة :

« .. ما اروعك يا صديقي .. وانت تبعث الحياة في النفوس البالية ! بالامس كنت تدفع بي الى هاوية الموت والدمار ، فاذا انت اليوم تعبد لي طريق الحياة السوية في اسمى المراتب . لقد رددت الي ما فقدته من كرامة وعزة وثقة بالنفس .

عدت الى الجامعة ، وجزت الامتحان بنجاح ، ونلت اجازة « الليسانس » ثم شرعت اعد رسالة « الماجستير » . تخيرت لها عنوانا ، استلهمته منك ، من احاديثي معك ، مما قرات لك ، ذلك هو « انتصار الحياة » وما اسرع ان انتهيت من اعدادها ، تمهيدا للتقدم بها .

وهكذا الصراع .. صراع الفناء .. والبقاء . صوره تيمور باسلوب طريف تحس بواقعيته . تلك الواقعية التيمورية التي لاتخضع لمقاييس النقاد ، بل انها خاضعة لتطور تيمور ، وخاضعة لتلون وتشكل فنه ، طوعا لما يطرا عليه في مراحل عمره ، من تطور وتلون وتشكل في العقل والثقافة والنفسية ، ومدى الاستجابة للتجارب الحيوية ، والتاثر بملابسات المجتمع الذي يحيا فيه .

وان اكبر هدف تصبو اليه نفس تيمور في تلك الاقاصيص ، هو ان يكون في قصصه تبصير بالطبع البشري ، وتجميل لوجه الحياة ، وتعزية لاخيه المسكين .. ذلك الانسان .

فتحي الابياري



مسرحية الخرتيت ليوجين يونسكو

بقلم : على متولى صلاح

عندما تقرأ شيئا **ليوجين يونسكو** فاقرأه على حذر وابحث عما وراء السطور دائما ! ولا تأخذ كلماته على ظاهرها بل انظر دائما الى أعماقها وقلب هذه الكلمات على كل الوجوه حتى تضع يدك على حقيقة ما يريد !

انه كاتب يحير قارئه ! تحسبه يضحكك فتجده فى النهاية يبكيك ! وتحسبه يجد فتلقاه يهزل ويسخر ! وتظنه يعنى بالكلمات مدلولاتها المعروفة المألوفة ولكنك تراه لا يرى هذه الكلمات شيئا غير جثث أو أحجار تتساقط من حوله ولا يبقى منها الا الجوهر والحقيقة التى تحملها هذه الكلمات ! وتحسبه من أصحاب مذهب «اللامعقول» الآخذين بطريقته ولكنك تجده « معقولا » الى قمم المعقولية والمنطق ، وتحسبه كاتبا مسرحيا فحسب ثم تجده فيلسوفا محلقا فى أجواز الميتافيزيقا محللا للاشياء وللامور تحليل الفيلسوف المدقق ..

انه مزيج من كل ذلك ولكنه قبل كل هذا ساخر من الطراز الأول وساخر من نوع غريب جديد ! يصور لك الأمور فى صور غاية فى السخرية الجريئة الشاذة التى قد تستنكرها أول الأمر ثم فى النهاية ترتاح اليها وتطمئن لها كالذى فعله فى مسرحيتنا هذه .

وربما كان افتتاح موسم مسرح الحكيم هذا العام بتلك المسرحية من أعظم الاعمال التى تذكرها لهذا المسرح ، وهى وان تكن قد لقيت فى أول عرضها من الاقبال أقل مما ينبغى لها الا أن الأذهان قد تفتحت لها رويدا رويدا حتى اشتد الاقبال عليها كثيرا ، وربما كان مأتى هذا أيضا الى ما تحتاج اليه هذه المسرحية فى فهمها جيدا من أناة وصبر واعمال فكر يتأتى للوهلة الأولى عند البعض من المشاهدين .

وهى مسرحية قليلة الأحداث جدا مما يقربها كثيرا من صفة (القصة) القصيرة ومما جعله هو نفسه يقرر انها « قصة » ، ويقول « ان حكاية مسرحية الخرتيت هى حكاية مسرحتها ! انها فى الواقع أقل فى الطابع المسرحى الخالص وأكثر قليلا فى الطابع الأدبى من مسرحياتى الأخرى ، انها « قصة » مع أن الذى يعنينى فى المسرح دائما هو الشكل المسرحى » .

وظاهرها يوحى اليك بأنها « كوميديا » كماذهب المسئولون عنها فى وصفها بأنها « كوميديا ساخرة » وهذا ما تراه واضحا فى أولها ولكنها تتكشف لك شيئا فشيئا عن « مأساة » عميقة تهز أعماقك هزا قويا وتنسى تماما ما كنت فيه من ضحك بل قد تدر من عينيك الدموع ! وهى تدور حول جماعة من الناس يمثلون نماذج مختلفة من البشر مجتمعين فى صعيد واحد من طبقة البورجوازيين الذى يحاربهم يونسكو بكل قوته .. ويصورهذه النماذج بلمسات

فنية دقيقة معبرة ، ومن هذه النماذج مثلا : رجل متفيهق متفاصح لايفتأ يدلى بآراء يحسبها علما ويحسبها فهما وما هي من العلم أو من الفهم في شيء وانما هي شنشنة متفشية في تلك الطبقة البورجوازية !

ومنها « المدير » الذى يتمثل فيه الاستغلال والزيف والبهتان ، ذلك المدير الذى يريد أن يصور نفسه لمرءوسيه بصورة الحزم والجد وهو في حقيقته ليس على شيء من ذلك وانما هو رجل مهتز غير متماسك يسعى جاهدا لعقد صلاةمع احدى الآنسات اللاتى يعملن في دائرة اشرافه ونفوذه !

ومنها ذلك « المثقف » الذى يتعالى ويتعالم ويدعى انه شيء « آخر » غير هؤلاء الذين من حوله وينظر الى هؤلاء الذين حوله نظرة استخفاف وسخرية .

ومنها ذلك : « الانسان » البسيط الخالى من تلك العقد كلها وهو نادر بين هؤلاء يكاد يكون فردا واحدا لاثاني له ..

يلتقى هؤلاء الناس جميعا على اختلافهم فى صعيد هذه المسرحية ويتساقطون جميعا واحدا اثر واحد لأنهم جميعا غير جديرين فى نظر المؤلف بصفة الانسانية ولهذا فقد تحولوا كلهم الى « خراتيت » وتجردوا . من الانسانية الا واحدا هو ذلك الرجل البسيط السهل الجميل النفس الطيب القلب بيرانجيه » فهو وحده الجدير بالبقاء فى حظيرة الانسانية وهو وحده الذى صمد ولم يجرفه وباء الخرتتة !

❋ ❋

وهذا دون شك دفاع مجيد عن الانسانية المتميزة وعدم انصهارها وفنائها فى تلك الآلية البغيضة التى تضيع معها معالم الانسان ولا يكاد يتميز فيها فرد عن فرد بشيء ويصبح الناس فيها بقرا متشابهة ! او هو دفاع عن الأخلاق الانسانية التى يجب أن تسود الحياة من التسامح الى البساطة الى المحبة الى غيرها وتحطيم تلك العقد المختلفة التى تركب حياة بعض الناس وذلك الشذوذ الذى يباعد بينهم وبين الانسان الحق .. أو هى صرخة ضد الاستغلال والنفاق الذى يمثله ذلك « المدير » الذى يمثل صورة من الناس يجب أن تتوارى وأن تتخلص منها الانسانية .

هذا الغرض الكبير الذى يهدف اليه المؤلف صوره وجسده فى صورة بارعة وان تكن غريبة وهى تحويل هؤلاء الشواذ جميعا الى خراتيت أى اقصاؤهم عن صفة الانسان وادخالهم فى حظيرة الحيوان الأحط .

وتذكرنا هذه المسرحية بأسطورة نهر الجنون تلك التى نحسبها قد صارت من الأساطير الخالدة وهى قصة ذلك النهر الذى وضع فيه سم يصير كل من يشرب جرعة منه مجنونا ! فلما شرب منه الناس تحولوا جميعا الى مجانين ولم يبق عاقلا الا الملك والملكة والوزراء .. ولم يصدق هؤلاء الوزراء تلك الخرافة وشربوا من النهر فصاروا هم الآخرون مجانين ! ولم يبق الا الملك والملكة . فصار تفاهمهما عسيرا وشاقا وغير مستطاع مع كل الناس ! وانتهى بهما الأمر الى أن اعتقدا أنهما هما المجنونان دون الناس ! فشربا من الماء كما شرب أهل البلد فصاروا مثلهم مجانين أو عقلاء !! المهم أنهم صاروا مثلهم تفكيرا وعقلا وأصبح التفاهم بينهم وبين الناس سهلا ميسورا .. تذكرنا هذه المسرحية بتلك الأسطورة مع فارق وهو صمود ذلك « الانسان » عند يوجين يونسكو وعدم صموده فى تلك الأسطورة .

❋❋❋

ولقد أخرج هذه المسرحية المخرج الشاب « حسين جمعة » ، وهى أول مسرحية يقوم باخراجها بعد عودته من الخارج ، وتبشر هذه الباكورة بآمال عراض نرجو أن تتحقق على يديه ، فهو قد أعطاها من العناية ما ليس بعده مزيد وهو قد جسدها لنا تجسيدا أوضح معالمها ايضاحا محا عنها كل خفاء ولم يقف فيها عند حد المخرج العادى ، وأعنى به المخرج فى مفهومه القديم ولكنه تجاوز هذا النطاق الى التعديل والتحوير الصادرين عن فهم دقيق لكل خالجة فى المسرحية مما يجعله بحق فى طليعة المخرجين الذين تعتز بهم ، ونرجو أن نجد منه الكثير بعد هذه المسرحية .

وكانت الحركة ـ على كثرة المتحركين ـ ذات نظام وايقاع حسن ، ولم يكن فيها أى اضطراب أو نشاز أو خروج على المألوف الطبيعى ، وقد دار الحديث فى عدة مستويات فى وقت واحد ومع هذا فقد كان الجميع يتكلمون وكل اثنين يتحدثان معا فقط ، ولم يقع خلال هذا كله أىفساد أو تداخل مما بهر الناس وكان العدد الضخم من المتكلمين اثنان فقط !

وكانت الديكورات الفنية كما كانت الاضاءة والموسيقى والستائر فى مواضعها الصحيحة وساعدت كثيرا على جلاء المعانى ومضاعفة التأثير ٠

وقام «صلاح منصور» بدور البطل وأعنى به دور « بيرانجيه » فكانت بساطته فى الاداء وعدم مبالغته وافتعاله ، وكان أداؤه الطبيعى كذلك آية الآيات فى التمثيل ، وكان يتقلب بين الفكاهة والدراما ـ كما أراداه المؤلف ـ تقلبا لاتشعر معه بنبوة أو فجوة أو تبدل أو تغير فى الشخصية ٠

وقام « كمال يس » بدور « جان » صديق البطل فاعطى الدور حقه الكامل وقد أخذ عليه البعض أنه كان يسرف فى الصياح والهياج ولكنهم نسوا أن تلك هى طبيعة الدور وموجباته ٠

وقام « عبد العزيز أبو الليل » بدور « المدير » فكان مديرا حقا وصدقا كما أنه حقق ما أراده المؤلف لهذا المدير من اهتزاز ونشاز فى خلقه وقد أحسن المخرج فى اختياره لهذا الدور لأنه يمارس وظيفة المدير فى حياته اليومية مما جعل أداءه له طبيعيا خاليا من كل افتعال ٠

ولكن الملقن كان يحسب نفسه أحد الممثلين فكان يتابعهم متابعة متلاحقة وكان صوته أسبق الينا من أصواتهم وهذا خلط لا يجوز !

نظــرات

● لا ندرى ان كان المسئولون فى الاذاعة يعلمون ما يقدو به هذا « الطقم » من السادة الذين اصطلح على تسميتهم باسم « النقاد » قوة واقتدارا ويروحون ؟ ام ان السادة المسئولين فى الاذاعة لا يعلمون ؟

ولا ندرى هل يعلم اولئك المسئولون ان هذا الطقم «يحتكر» النقد فى كافة ميادين الأدب والفن دون استثناء : من القصة الى السينما الى المسرح الى الشعر الى غيرها من كل ما خلق الله من فنون مختلفة كأن الله قد جمع فيهم وحدهم العلم كله وخصهم وحدهم بالحكمة وفصل الخطاب !

وهل يرى المسئولون فى الاذاعة ان بلادنا قد عقمت فلم تنجب غير هؤلاء السادة الذين نسمعهم كل يوم بل نسمعهم فى اليوم الواحد اكثر من مرة وفى اكثر من ميدان ! حتى صار كلامهم معادا مكررا ! فما نسمعه منهم اليوم هو نفسه الذى سنسمعه منهم غدا ، وهو ما سنقرؤه فى الصحف ، ثم هو ايضا ما سنقرؤه فى كتبهم ٠٠ وما يقولونه هنا هو نفس ما سيقولونه هناك وهنالك !

وهل يعلم المسئولون فى الاذاعة فيم تخصص هؤلاء السادة وماذا درسوا ؟ وكم منهم تخصص فى (السينما) وكم منهم تخصص فى (القصة) وكم فى (النقد المسرحى) وكم فى نقد (الشعر) وفيما الى ذلك مما يخوضون فيه وحدهم كل يوم ويحرصون على الا تفوتهم منه شاردة أو واردة ؟

وهل درسوا كل هذه الفنون دراسة علمية أصيلة حتى صاروا الأعلام والقمم التى لا يدانيها احد وصار يصدق فيهم قول الشاعر :

ليس على الله بمستنكر ٭ ان يجمع العالم فى واحد ؟

لا نريد ان نسميهم باسمائهم فان الاذاعة تعرفهم حق المعرفة ولكننا نرجو ان يلقى السيد نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد نظرة من نظراته العبقرية الحاسمة الى هذا (الاحتكار) العجيب٠

● على اى اساس استندت مراقبة التمثيليات فى الاذاعة عندما قررت الا تقبل من التمثيليات فى البرنامج العام الا ما كان مكتوبا باللغة العامية وان ترفض كل ما يقدم اليها مكتوبا باللغة العربية مهما كان موضوعه ومهما كانت درجته من الاجادة والاتقان ؟ ان كان ذلك فى رايها ليكون الكلام قريبا من افهام سواد الشعب فما ابعدها عن الصواب فى ذلك الراى !

الا ترى مراقبة التمثيليات ان هذا السواد يسمع الاذاعة التى تذاع عليه باللغة العربية ـ كالاخبار والأحاديث الدينية الصباحية مثلا ـ فيعيها ويفهمها وعيا وفهما كاملين يدل عليهما حرصه على سماعهما ؟

ثم الا ترى هذا السواد يقرا الصحيفة اليومية المكتوبة باللغة العربية فلا يعيا بفهم شئ منها ؟

فما باله يفهم هذا وذاك ثم يعجز عن فهم التمثيلية التى بها وسائل اخرى تساعد على الافهام ليست فى الكلام العادى المذاع او فى الكلام العادى المكتوب فى الصحيفة اليومية ؟ من مؤثرات كالموسيقى وتصوير الحركات بالصوت الى اداءات الى تلوين الممثلين لكلامهم فى القائهم مما يجعل فهمها اقرب منالا من الكلام الخالى منها ؟

لا ندرى السبب فى هذا الاتجاه ؟ ولكننا نطالب المسئولين فى الاذاعة ان يفيدونا ولهم من الله الأجر والثواب !

● هل يخلق النص المسرحى الجيد ممثلا ؟ او على الأقل هل يساعد على ابراز مواهب قد تكون كامنة فى الممثل لا تجد المجال للظهور والانطلاق ؟

سؤال نريد ان نتدارس الاجابة عنه مع السادة القراء ٠٠

ونحن نجيب عنه بنعم ! لأن النص المسرحى ليس كلاما كسائر الكلام ولكنه كلام حى متحرك ذو لحم ودم ٠٠ فالكاتب المسرحى الحق ليس هو الذى يخلق كلاما يجريه على السنة بعض الأحياء ولكنه الذى يخلق الأحياء ثم ينطقهم بالكلام الطبيعى الذى تجرى به الحياة ٠٠ والنص المسرحى ليس موكبا لفظيا او معرضا لغويا ولكنه هو النص الذى تعبر فيه كل كلمة عن خالجة او عاطفة وعلى الممثل ان يؤديها مملوءة بكل اولئك ٠

عندنا فى هذا الصدد ظاهرتان تستحقان التسجيل : عندنا « عبد المنعم ابراهيم » الذى ابرزه دوره فى مسرحية « مسمار جحا » وعندنا « محمد عوض » الذى ابرزه دوره فى « جلفدان هانم » نتيجة لنصين بارعين ٠ فما راى القراء ؟

على متولى صلاح



الطاقة الشمسية

فى حياتنا اليومية

بقلم : عبد المنعم أبو السعود

يستعمل الانسان الطاقة الشمسية فى حياته اليومية فى صورتين :

١ ـ طاقة حرارية ـ ويحصل عليها من المنبع الحرارى مباشرة . وسبيله الى ذلك كافة انواع الوقود المعروفة من فحم وبترول وخشب .

٢ ـ طاقة كهربية ـ ويحصل عليها من المولد الكهربى بأية صورة يكون عليها .

ثم هو يستغل الطاقة فى اغراض مختلفة فهو يستغل الطاقة الحرارية فى الطهى والافران وماتتطلبه الاعمال المنزلية ، اما الطاقة الكهربية فيستعملها فى الانارة وفى التدفئة والأفران على أننا نراه يشرك الطاقتين فى الانتفاع بايهما فى ادارة الآلات الكثيرة التى يستخدمها فى تحقيق الرفاهية وقضاء مصالحه المختلفة التى بدونها لا يمكنه أن يستمتع بما وصل اليه من اختراعات تقوم أساسا على الآلة .

والطاقة أساسا تحتاج لوقود لانتاجها وللحصول على الوقود لا بد من البذل لشرائه . لكن الطاقة الشمسية يمكن استغلالها دون مقابل ، فلن تجد من يتقاضى منك ثمنها . فاذا ما تمكن الانسان من الحصول على ما يحتاجه من طاقات فى صورها المختلفة من الشمس فقد خفض سعر التكلفة من كافة الوجوه.

وقد وصل فعلا بحث الانسان الى ذلك ، وحتى أقنع القارىء بان الشمس كفيلة لأن تقدم للانسان ما يحتاج اليه من طاقات أقدم له ما وصل اليه الباحثون وما قاموا بعمله من أجهزة حتى يتبين أن المسألة لم تعد مجرد تفكير ولا نظريات بل أصبحت حقيقة واقعية ملموسة .

الطاقة الحرارية

أول ما يحس به الانسان من الشمس هو حرارتها ولا يشك انسان فى أنها مصدر الدفء له ولغيره من المخلوقات ولذا فهو يهرع اليها شتاء يطلبه فى اشعتها وبذا فهو يستغل طاقتها الحرارية استغلالا مباشرا بأن يعرض نفسه لها مباشرة دون الاستعانة باى جهاز يجمع الاشعة او يعكسها، وعن هذا الطريق ايضا ـ الطريق المباشر ـ يستغل حرارتها . غير ان الأمر يختلف بالنسبة لافادته منها فى غير الدفء . ذلك لان الامر يتطلب امورا اكثر تعقيدا من مجرد استقبال الاشعة على السطح . وحتى الاستقبال على السطح يتطلب منه اعدادا خاصا بالنسبة للمستقبل . وفيما يلى سيجد القارىء حديثى عن بعض الأجهزة التى تستعملها فى قضاء الاحتياجات اليومية بالمنزل .

فالفكرة الاساسية التى يقوم عليها تصميم أى جهاز يعمل بالطاقة الحرارية الشمسية هى ايصال الحرارة الى المادة المراد اكسابها الحرارة • فلتسخين الماء مثلا ولطهى الطعام تجد أن الجهازين مختلفان انما يقومان على اساس واحد •

فالجهاز اللازم لتسخين الماء يتركب من صندوق ذى سطح زجاجى وبداخله ماسورة معزولة حتى لا تتسرب الحرارة التى تكتسبها الى أى جزء من الوسط الذى تمر فيه • ويلاحظ فى وضع الماسورة أنها تسير متعرجة حتى يكبر طولها بحيث تبعد فتحة الدخول عن فتحة الخروج فكلما زاد طولها كلما زاد الوقت اللازم لعبور المياه الماسورة وبالتالى يزيد تعرضها لامتصاص الحرارة الشمسية • والاشعة الشمسية التى تنفذ من السطح الزجاجى ستقع على السطح المغلف للماسورة • وحتى تستفيد من أكبر قسط من الحرارة لابد أن يجهز هذا السطح بطريقة تجعله يستقبل الأشعة فيمتص أكبر كمية حرارية • واللون الاسود كما هو معروف اكثر الالوان امتصاصا للحرارة ، لذا وجب ان يكون المستقبل مدهونا بهذا اللون • كما يلاحظ ان يكون المستقبل من مادة جيدة التوصيل للحرارة لتستفيد الماسورة من الحرارة التى يمتصها • ويطلق على جهاز كهذا اسم « المجمع اللوحى » •

ولا تظن ان درجة الحرارة التى تمتصها المياه تكون بسيطة فانها يمكن ان تصل الى درجة الغليان وذلك بتصميم مناسب تكبر فيه المسافة التى تقطعها المياه متعرضة لاشعة الشمس بين فتحتى الدخول والخروج •

وللافادة من المياه الساخنة لا بد وان تجمع فى خزان • ونحن نعلم أن فترة النهار هى التى يمكن الافادة خلالها من اشعة الشمس ولذا فان عمل الجهاز خلال النهار فقط • وحتى تحتفظ المياه الساخنة بدرجة حرارتها لاستعمالها عقب غروب الشمس يراعى أن يكون الخزان معزولا ايضا على نفس الطريقة التى نشاهدها فى « الترمس » الذى يحمله الانسان وهو ملىء بشراب ساخن أو بارد ليستعمله ، وقد احتفظ بحرارته •

واذا احتاج الأمر منا الى درجة حرارة اكبر لهذا الجهاز أمكن ان تعكس الاشعة على السطح المستقبل عن طريق المرايا المستوية •

وكما يقوم المجمع اللوحى بتسخين المياه يمكن أيضا أن يقوم بالتدفئة شتاء وتلطيف الجو صيفا ، وذلك بعد تحوير بسيط فيه • واعداد خاص بالمكان الذى يراد تكييف جوه ، ففى المنازل مثلا يمكن ان تمر فى الفرن مواسير تتصل بالجهاز لكى تمر فيها مدة التكييف • وغالبا ما تستبدل مياه المجمع اللوحى بهواء مضغوط ترتفع درجة حرارته طبقا للحرارة التى يكتسبها من السطح المستقبل فاذا ما مر بالغرف ادفأ جوها ويعود مرة ثانية بعدئذ الى الجهاز ليكتسب حرارة ثم يعود الى المرور بالغرف وهكذا •

فاذا أريد استعمال الجهاز لتلطيف الجو صيفا ادخل الجهاز ضمن دائرة تبريد تحوى محلولا مناسبا تحت ضغط معين ويتبع الجهاز بذلك نفس الطريقة التى يتبعها جهاز التبريد العادى اللهم الا فى بعض نقط معينة •

وطبيعى أن الاحتفاظ بالهواء الساخن لاستعماله ليلا يتطلب شروطا تجب مراعاتها عند الاعداد ليقوم الجهاز بعمله بشكل منتظم عند غياب مصدر الطاقة اى بعد غروب الشمس •

ومن من الله علينا ان شدة الحرارة تكون نهارا نتيجة لوجود الشمس • ووجود الشمس بالنسبة

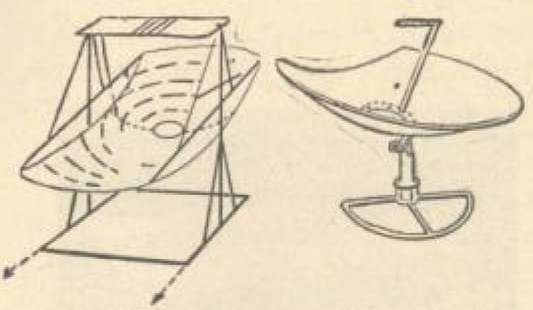


هذه صورة لمنزل اقيم فى ولاية اريزونا الامريكية

ترى فوق السطح المرايا المستوية التى تقوم بعكس الاشعة عن الاسطح التى تعلو الأنابيب المغطاة بالطبقة السوداء لاستقبال الاشعة وامتصاصها والجهاز معد للتكييف الكامل شتاء عن طريق تسخين الهواء ، ولتلطيف الجو صيفا عن طريق مرور هواء بارد على طريقة التكييف الآلى المعروف •

لجهاز التبريد أمر ضرورى ليعمل • ونحن فى بلادنا نشكو من الجو صيفا فاذا مالجأنا الى تلطيفه بالشمس التى تسبب حرارته نكون قد حصلنا على فائدتين : الأولى جو ملطف يمكننا من العمل دون ارهاق والثانية الحصول على التلطيف من نفس المصدر الذى يسبب حرارة الجو وهو الشمس وبدون مقابل •

ونحن فى حياتنا اليومية نحتاج للحرارة فى الطهى وقد تطورت استعمالات الموقد لتقدم العلوم فبعد ان كانت طريقة بدائية هى عبارة عن اشعال النار فيما يجمعه الانسان من الغابة من فروع الشجر عدل موقده يوم ان استخرج الفحم ثم عاد وعدله ثانية يوم كشف البترول ، وعدله ليستعمل الغاز المستغل كذلك وان اراد أن يستغل الطاقة الشمسية فهو لا بد لاجىء لتعديله ايضا ليناسب هذا الغرض • والفرن الشمسى الذى يستعمل فى الطهى يختلف عن المجمع السطحى • والجهاز عبارة عن مرآة مقعرة ذات بؤرة موحدة تجمع الاشعة كلها فيها فيتكون لنا بذلك مصدر حرارى كاف لانضاج الطعام الذى اما ان يوضع فى البؤرة مباشرة واما على مداد يوصل الحرارة من البؤرة اليه •



(ب) (ا)

الصورتان لنوعين من الافران لانضاج الطعام • الأولى (ا) ترى ان هناك عامودا من معدن ينتهى بقطعة اخرى يوضع عليها الاناء وفائدة العامود انه ينقل الحرارة من البؤرة الى القطعة المستوية منه والتى سيوضع عليها الاناء لتنتقل اليه الحرارة •

اما بالنسبة للشكل ب فنجد فى اعلا الشكل سطحا يحمل الآنية وينقل اليها الحرارة •

على أنه من الممكن أن يكون جهاز الطهى مبسطا وعلى غرار المجمع اللوحى ، وذلك بان يكون صندوقا له سطح زجاجى محكم وفى جوانبه مرايا مسطحة تعكس الاشعة وتوضع أوانى الطعام على أرفف بتنظيم خاص يسمح بسقوط الاشعة عليها كلها ويوضع الطعام داخل آنية يكون سطحها الخارجى مطليا باللون الاسود ليقوم بعمل المستقبل فيمتص الحرارة وبذلك ينضج الطعام •

وحتى فرن الخبز يمكن الحصول بدله على جهاز يعمل بالطاقة الشمسية ليحل محله فلو عمدنا الى جهاز المجمع السطحى فاحللنا اناء معدنيا مطليا باللون الاسود غير اللامع محل مواسير المياه وركب له باب فى منطقة بعيدة عن منطقته الحرارية فانه يمكن استخدام هذا الاناء المسطح بصفة عامة لانضاج الخبز أو لتجفيف الفاكهة والخضروات ايضا •

وما دمنا قد تحدثنا عن افران الطهى فسنتحدث عن فرن آخر ذى حرارة عالية •

وهذا الفرن لا يختلف عن الفرن العادى من حيث النظرية فكلاهما يقوم على استعمال مرآة مقعرة • وما دمنا نريد درجة حرارة عالية فلا بد من أن تكون المرآة اكبر من تلك المستعملة فى الافران العادية • لكن يصادف صناعة هذا الفرن صعوبتان: الاولى طريقة صب المرآة وهىصعوبة تتعلقبالصناعة فقط لكن الصعوبة الحقيقية وهى الثانية هىالوصول الى طريقة لايجاد حامل يحمل المرآة ليدور مع الشمس بحيث تتعامد أشعتها دائما مع سطح المرآة حتى ينعكس الضوء الساقط عليها ويتجمع فى البؤرة فنحصل على أقصى درجة حرارة •

وكلما كانت المرآة مقعرة بشكل منتظم كلما ساعد ذلك على تجميع الاشعة فى حجم صغير وهذا يساعد على ارتفاع درجة الحرارة •

وبعد • فالطاقة الشمسية تعطى كل هذا وغيره من الطاقات ، غير أن الطريقة التى تحصل بواسطتها على طاقة كافية تتوقف دائما على مساحة السطح الذى يستقبل الأشعة الشمسية ويقوم اما بالسماح لها بالنفوذ نحو السطح المستقبل لتكون الكمية الممتصة عالية واما باستقبالها وعكسها كما فى المرايا المسطحة أو تجميعها فى البؤرة كما فى المرايا المقعرة.

هذه لمحة سريعة عما يمكن أن تؤديه الشمس لنا من فوائد فى ميدان واحد وليس هو كل ما يمكن أن تستغل فيه انما هناك غيره وهو ما سنفرد له بحثا آخر •

عبد المنعم ابو السعود

قراءات فى المجلات العربية



يقدمه: محمد العوانى

● يتابع الدكتور جمال حمدان حديثه فى مجلة « المجلة » عن شخصية مصر فيذكر انه من الممكن اعتبار « العصر العربى الاسلامى امتدادا لمرحلة تصدير الحضارة المصرية » ثم يبين ان النهضة الحضارية العربية التى حدثت من تفاعل العرب مع ابناء البلاد التى دخلوها هى انتاج مشترك اساسا ، والحضارة العربية الجديدة التى بدا تصديرها الى اوربا الجنوبية وغيرها كانت تشمل بالضرورة خيوطا مصرية كثيرة فى نسجها .

ثم يرى الدكتور حمدان أن « مصر القبطية تأثرت بالجديد الذى اتى به العرب من لغة وعقيدة لا لأن المغلوب مولع بتقليد الغالب ، ولا لأن الصراع اللغوى يحدده الصراع السياسى فحسب، وانما ايضا لأنها ادركت بسرعة أن العرب قد اتوا بجديد حقا ، ولكنها بعد ان اجادت ما اخذته ، لم تلبث أن جودته كعهدها دائما » .

ثم يضرب لذلك مثلا بأن « اللهجة المصرية كانت دائما اقرب لهجة عربية الى الاستقامة والاعتدال » . ثم ينتقل الدكتور موضحا ان عملية الاحتكاك مع الغرب مرت فى ثلاث مراحل واضحة :

المرحلة الأولى هى « الانبهار الحضارى والانبهار النفسى ، فقد فوجئنا بأننا اقزام امام عمالقة ، وكان رد الفعل « مركب نقص » حضاريا شديدا افقدنا كل ثقة فى تاريخنا وتراثنا وكياننا ، وجعلنا نتهافت على النقل والتقليد بلا تمييز ، فكانت صيحات التفرنج ومحاولات تحويل مصر الى « قطعة من اوربا » بل وصل الأمر الى اقتراح الحروف اللاتينية المعروف » .

والمرحلة الثانية فى رأى الباحث « كانت رد فعل عكسيا ، فبعد ان خبرنا ومارسنا دخائل الحضارة الجديدة زال الانبهار وعادت الينا بعض الثقة فى انفسنا ، وادركنا فضلنا غير المباشر فى اصول هذه الحضارة » .

ويستطرد الدكتور نتيجة لذلك مبينا ان البعض قد تطرف فطالب بالرجوع الى الماضى واشتدت الحركات « السلفية » وأن هذه كانت مرحلة الانتفاض السياسى ايضا وادى نجاحها بالبعض الى تطرف جديد وصل الى درجة الغفلة ، فقد انقلب مركب النقص الحضارى الى « مركب عظمة » كان حكم الباحث عليه بأنه « مركب نقص مقلوب » .

ثم يتحدث عن المرحلة الثالثة وهى التى نعيشها بأنها مرحلة الاعتدال ويبين فيها « اننا وان كنا يجب أن نعتز بما قدمناه للحضارة والتاريخ الا اننا لا ينبغى ان نعتمد على ذلك اكثر مما ينبغى . فقد عشنا عالة على تاريخنا اكثر مما يجب . ولكننا من الناحية الاخرى اذا كنا سنستعير ففى تواضع لا فى ضعة . ثم يمضى الدكتور ليعلن اننا الآن « نجمع بين الاصيل والدخيل ، القديم والجديد ، بين التقاليد والتقليد ، فى نسب متفاوتة وفى اتزان وانتخاب رشيد ،

ولهذا كله فمن الصعب ان نوافق على هذا الحكم الذي يصدره مثلا كاتب اجنبي عن القاهرة حين يقول :

« ها هنا الشرق ، كاحسن ما يكون وكاسوأ ما يمكن ، وها هنا الغرب أيضا ، كاحسن ما يكون ولكن في الأعم الأغلب كاسوأ ما يمكن » .

ثم يضع الباحث قاعدة هي « أن مصر كلما زادت تغيرا وتطورا ، زادت شخصيتها وذاتيتها تاكيدا واستمرارا » حتى انها « في الماضي البعيد كانت (تمصر) كل جديد ، تهضمه وتمثله وتفرزه كائنا مصريا صميما : الموجات الأجنبية ابتلعتها ومصرتها ، حتى الدين مصرته ، حين اخذت المسيحية واخرجت منها نسختها الخاصة القبطية اما اليوم فكما يقول فيدن :

« ان مصر لا تتجه وجهة فرنسية ولا لفانتيه في روحها ، فالجزء الاكبر يظل دون أن يمس ، ومصر عازفة عن أن تكون اى شيء سوى مصر » .

* * *

ويتناول الاستاذ يوسف الشاروني في نفس « المجلة » الاتجاهات التمهيدية لأدب اللامعقول فيذكر « ان البعض قد يظن ان هذه حركة جديدة تماما على تاريخنا الأدبي ، ولكن الواقع انه قد سبقتها حركات مماثلة منذ أكثر من عشرين عاما ، غير انها لم تلق من الاهتمام ما لقيته حركة اليوم »

ثم يوضح الشاروني انه قبل الحرب العالمية الأولى ظهر في أدبنا العربي الحديث اتجاهان هما : الرومانتيكي ثم الرمزي . وأن الاتجاه الرومانتيكي قد وضح في المهجر يتزعمه جبران خليل جبران وفي مصر ، فقد نشر المرحوم محمد حسين هيكل روايته « زينب » . أما الاتجاه الرمزي فقد ظهر ممتزجا بعبير الرومانتيكية .. ولعل رائده في ادبنا المصري توفيق الحكيم حين نشر مسرحيته « اهل الكهف » عام ١٩٣٣ ثم « شهرزاد » عام ١٩٣٤ . وبعد ان يذكر الباحث امثلة اخرى من هذا الاتجاه يرجع سببه الى أن اصحابه « كانوا على صلة وثيقة بالثقافة الفرنسية » وان المسرح هو الذي حمل لواء الرمزية في أدبنا العربي

ويبقى بعد ذلك سؤال : هل تعد الرومانتيكية والرمزية من قبيل اللامعقول . أو ما يشبه اللامعقول ؟ لا نظن .

وفي باب المكتبة العربية قدم الأستاذ محمد قطب دراسة نقدية لكتاب « الاسلام في التاريخ الحديث » الذي الفه المستشرق الكندي المعاصر « ولفرد كانتول سميث » . ويقول الناقد : ان « سميث » تحدث في هذا الكتاب عن الاسلام فبين أنه نظام متفرد لأنه يصوغ المجتمع صياغة الهية ويحقق في واقع المجتمع افكاره التي يستمدها من العقيدة ، وأنه بعيد عن الثنائية التي تعيش فيها النظم الغربية الحاضرة . وبعد هذا الكلام الجميل عن الاسلام يطالب المؤلف المسلمين بان يساوقوا حركة التطور ، والتطور في فهمه هو أن يفصلوا بين الدين وسياسة امور المجتمع ، ثم يرتكز المستشرق على مغالطة مكشوفة هي ان اعظم مثال يحتذيه العالم الاسلامي كله هو تركيا الحديثة لأنها في نظره قد أحدثت تطورا في المفاهيم الاسلامية ذاتها فقد قرر أهلها ان الدين لا يجوز أن يحكم أمور المجتمع وانما يظل قابعا في الضمير .

وتتضح هذه المغالطة حين يعلن « أن بعض الناس سيلاحظ أن هذا التطور في فهم الاسلام هو تطور على الطريقة الغربية المسيحية التي تفصل بين الواقع والمثال وان تركيا الحديثة ــ ان كانت متدينة فهي متدينة على الطريقة المسيحية لا على طريقة الاسلام .

لم ينس المستشرق نفسه مرة اخرى بعد أن بين مزايا الاسلام ويقول حين تحدث في فصل عن باكستان « انها فشلت في أن تكون دولة مسلمة لأن ذلك غير ممكن في القرن العشرين »

ويخرج الاستاذ قطب من هذه الدراسة بنتيجتين أولاهما : « هي الاحساس بمدى أهمية العالم الاسلامي في التاريخ الحديث ، تلك الأهمية التي تثير اهتمام الغرب الى هذا الحد الواضح في الكتاب . والأخرى « هي ادراك الجهد الضخم الذي ينبغي ان يبذله المسلمون في انفسهم وفي افكارهم وسلوكهم ليجعلوا الاسلام ــ كما يقول المستشرق ــ عقيدة صالحة للعالم كله . عقيدة تشمل عالم المادة وعالم الروح في نظام واحد ، وتريح العالم من الثنائية التي تمزق النفس والحياة » .

● وتحدث الأستاذ رفيق الخوري في مجلة « العلوم اللبنانية » عن المسرح في لبنان وقسم مستوياته الى ثلاثة : الاول « مستوى بعض هواة الكلمات الغامضة والأجواء الضبابية ومقلدي الأساليب الغربية ، وهواة هذا المستوى يحتقرون الشعب ومفاهيمه والمسرح في رايهم ليس غير زينة أو مهرجان للعطر والنساء البورجوازيات وانه

وسيلة لوصول العاملين فيه الى قلب الحياة الاجتماعية .

والمستوى الثاني هو مستوى نفر من السطحيين العديمي الثقافة ، مفاهيمهم عن المسرح تافهة ، وهم بحجة تلبية رغبات الشعب ينزلون الى الحضيض .

وبين هذين المستويين يوجد نفر صغير ممن آمن بالحركة المسرحية..المسرحية علما وخبرة ولكن ضاعت اصداء هذا النفر وسط ضجيج الدعاية التى يتبعها الفريقان الأولان .

● وعرض الأستاذ سامي الكيالي في مجلة « العربى » حياة واعمال « ابن العديم » احد ادباء القرن السادس الهجرى ومؤرخيه والذى عاش أيامه الأخيرة فى مصر يكتب ويؤلف وقد احبته مصر وأكرمته ، ومازال فيها حتى وافاه القدر سنة ٦٦ هـ فدفن بسفح المقطم .

يقول الباحث : « ان ابن العديم هو الذى ثار على الجهلة من انصاف العلماء الذين اخذوا يكفرون شيخ المعرة ودافع عنه فى كتابه « الانصاف والتحرى ، فى دفع الظلم والتجرى » فمن كلماته قوله « انى قد وقفت على جملة من مصنفات عالم معرة النعمان ابى العلاء .. فوجدتها مشحونة بالفصاحة والبيان ، مودعة فنونا من الفوائد الحسان ، محتوية على أنواع الآداب ، مشتملة من علوم العرب على الخالص واللباب ، لا يجد الطاعن فيها سقطة ولا يدرك الكاشح فيها غلطة .. ولما كانت مختصة بهذه الأوصاف ، مميزة على غيرها عند اهل الانصاف ، قصده جماعة لم يعوا وعيه ، وحسدوه اذ لم ينالوا سعيه . فتتبعوا كتبه على وجه الانتقاد ،ووجدوها خالية من الزيغ والفساد ، فحين علموا سلامتها من العيب والشين ، سلكوا فيها معه مسلك الكذب والمين ، ورموه بالالحاد والتعطيل ، والعدول عن سواء السبيل ، فمنهم من وضع على لسانه اقوال الملحدة ، ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذى قصده ، فجعلوا محاسنه عيوبا ، وحسناته ذنوبا ، وعقله حمقا ، وزهده فسقا ، ورشقوه باليم السهام ، واخرجوه عن دين الاسلام ، وحرفوا كلامه عن مواضعه ، واوقعوه فى غير مواقعه »

فابن العديم بهذا القول برأ أبا العلاء مما اتهم به كما انه دافع عن عقيدته وكشف عن خصائص عبقريته

والدكتور حسين مؤنس فى نفس المجلة يتناول كثيرا من اعلامنا المفكرين الذين كان لهم فضل كبير على ثقافتنا وتراثنا ويوضح ان الاسلام وضع بين ايدى هؤلاء الأعلام تراث الماضين ليتمثلوه ويضيفوا خلاصته الى ثروة الفكر العربى الاسلام الناهض. فالطبرى وحده مثلا ، يعدل فى تاريخنا الفكرى كل مؤرخى القرن السادس الهجرى وان الجاحظ وابن قتيبة والدينورى وابن جعفر كان كل منهم دائرة معارف قائمة بذاتها كما ان السيوطى كان جامعة كاملة ودار تاليف ونشر وحده ، خلف تراثنا لا تقوم بمثله جماعات ، فقد ، اضطلع وحده بتاليف مجموعة من الكتب يعد كل منها دائرة معارف قائمة بذاتها : واحدة فى علوم الدين واخرى فى التاريخ ، وثالثة فى علوم اللغة .

● وفى مجلة «روز اليوسف» تحت عنوان«رأيت وسمعت وقلت » يتحدث الأستاذ يوسف السباعى قائلا :

● سمعت الدكتور لويس عوض يقول انه يرفض نشر الزجل فى صفحتى الأدب بالاهرام لأنه شعر — رغم موقفه الصديق من الشعر العامى — انه ملتزم امام الاهرام بمستوى معين ، ولأن امانته للاهرام تجعله يصر على الا يشوب صفحات الأدب به شىء من اللغة العامية

● قلت للدكتور (القول للاستاذ يوسف السباعى) انخشى على صفحات الاهرام ان تحملها ما لا تطيقه قيمة الاهرام وتحظر نشر العامية بها ، وتدهش لأن لجنة فى أحد مجالس الدولة تريد ان تحافظ لمجلاتها على نفس المستوى الذى تريده لصفحات الأهرام .

● وسألت الدكتور (السؤال ايضا للاستاذ السباعى) لماذا لا تنشرون فى صحيفة الاهرام الأدبية شعرا موزونا مقفى ؟ فقال لى « انه ليس كل ما يرسل اليه يستحق النشر ، وان القصيدة التى رآها تستحق النشر للاستاذ الشاعر محمود حسن اسماعيل قصيدة طويلة اشترط الدكتور لويس على الشاعر أن ينشر جزء منها فقط ، لأن الصفحة لا تحتمل القصيدة كلها ..

وينتهى حديث الأستاذ السباعى مع الدكتور لويس قائلا له :

— أكثير على شاعر مثل محمود حسن اسماعيل أن نمنحه بضعة اعمدة فى الصفحة الأدبية فى الاهرام مرة كل عام » .

« محمد العوانى »



الشعر .. والناقد الدكتور أحمد كمال زكى

فى بريد الرسالة براعم حلوة اخترت منها ثلاثة اطيبها فى نظرى قصيدة لعبد الحليم ابراهيم مجاهد بعنوان « العازف الحزين . وهو يبدو فيها رقيقا عاطفيا مكتمل الاداة ولكن تنقصه الرؤية المتكاملة ، ذلك أن صوره على حلاوتها لاتشكل وحدة يبحث عنها قراؤه من غير شك · فليس الشعر مجرد نفثات ملتاعة لا رابط لها ، وانما الشعر عطاء وخبرة ، الشعر تجربة يمكن ان تضيف الى خبراتنا بعدا مطلوبا .

هذا من ناحية ، واما الناحية الاخرى فهو ذلك النغم الحزين . لماذا ؟ قد يكون الاديب متشائما ، وقد نقبل نحن تشاؤمه بناء على فلسفة ظهرت فى انتاجه ، وهذا اذا كان كبيرا . اما من فى مستوى عبد الحليم ، وهو لاشك لايزال فى مقتبل حياته ومحدود التجربة ، فان تشاؤمه ناجم عن تعلقه بآخرين

انطلق يا عبد الحليم ، فالطريق لاتزال طويلة !

والقصيدة الثانية لكريمة زكى مبارك بعنوان « هجر » ، وكنت ارجو أن تعنى كريمة بابياتها على أساس أن الشعر موهبة ودراسة ، طبع وتمرس . استعداد وقراءات طويلة متصلة . القصيدة عذبة من غير شك ، ولكن ينقصها الفكر والعمق ، ولست ادرى كيف تكون كريمة بنت الدكتور زكى مبارك ثم لا تنتفع بشاعريته الخصبة ؟

انى اتنبأ لكريمة بمستقبل مرموق ، فلتمض الى امام

والقصيدة الثالثة لبولس سلامه من الخرطوم بعنوان « دم الاحرار » فيها انتفاضة الثائر وقوة العربى الذى لا يسكت على الضيم كما أن فيها امتداد الرؤية الى خارج حدود وطنه العربى ، يقول :

فقل للثائرين بكل ارض
وللاحرار فى الكونغو وغينيا
وقل للرابضين على الروابى
وقل للهابطين الجب جونا
دم الثوار تعرفه بلادى
وتعرف لونه القانى سنينا

ويذكرنى البيت الاخير ببيت شوقى الذى يقول فيه « دم الثوار تعرفه فرنسا » ، وهو نقطة نقف عندها لنقول ان بولس لايزال فى حاجة الى ان يتحرر من العبارات المتداولة التى تبدو كما لو كانت كليشهات جامدة .

توضيح بقلم عبد الحميد ابراهيم محمد

نشرت فى مجلة الرسالة العدد ١٠٨٩ مقالا بعنوان « مصادر القصص القرآنى » . وكانت الفكرة الكلية التى أبغيها ، هى الكشف عن ناحية من نواحى الاعجاز القرآنى ، وهى ورود بعض شخصيات قصصه من بين الشخصيات التى كانت شائعة عند العرب ، يقصون حولها القصص ، وينسبون اليها الامثال ثم أضاف الى تلك الشخصيات مبادىء خلقية

تهذيبية ، نقلت العرب – حين استقرت في وجدانهم – من مرحلة البداوة والسذاجة الى مرحلة الحضارة والنضج . تماما .. كما يفعل الأب مع ابنه حين يتحايل معه ويخاطب وجدانه ، حتى ينقله من مرحلة السذاجة الى مرحلة النضج . أو كما يفعل الطبيب النفسي مع المريض اذ يطب له ويتعاطف معه حتى ينقله من مرحلة المرض الى مرحلة الشفاء .

وكان هذا الصنيع من القرآن الكريم في غاية الاعجاز ، لأنه يتحدث عن بعض الشخصيات التى تصادف حاجة في نفوس العرب ، والتى استقرت في وجدانهم ، وتعايشت معهم ، واختلطت باعماقهم . مما جعلهم يصغون لما تهمس اليهم هذه الشخصيات من مبادىء وعظات ، ومما جعلهم يتعاطفون مع القصص القرآنى ، ويطلبون من النبى عليه السلام ان يقصه عليهم ، ومما جعل بعضهم يصف تأثير القرآن بانه سحر مبين .

ولا ضير على في أن اذكر ان القرآن قد ذكر شخصيات شائعة بين العرب . اذا ان الاسلام لم يأت هادما لكل ما سبقه . وليس هو في حاجة الى مجد ننسبه اليه . ونقرأ في كتب التاريخ والفقه ان الاسلام قد أبقى على بعض عادات عربية رأى انها صالحة .

ولا ضير على في ان اذكر نواحي الاعجاز والبلاغة في القرآن الكريم وأثر كل ذلك على الادباء . فما أكثر الكتب التى ألفت في بلاغة القرآن او اعجازه أو وجوه تأثيره على الادباء . وما أكثر المفسرين الذين تحدثوا عن مواقف خيالية في القرآن . فمثلا الزمخشرى يعلق على قول الملائكة « ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة .. الخ » بأن هذا تصوير للمسألة وفرض لها ، كما تقول في تصوير المسائل زيد له أربعون شاة ، وعمرو له أربعون ، وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد .

هذا ما أردته .. أما وجود ابراهيم او عيسى او الجن او لقمان ، فلم أتعرض له ، لان المقال خاص ببيان ناحية من نواحي الاعجاز القرآنى ، وهى حديثه عن شخصيات لها تأثير على العرب ، لأنها اشتهرت بينهم وحاكوا حولها القصص والأمثال .

ولكن قوما – غفر الله لهم – تركوا هذه الفكرة الكلية ، وراحوا يتعلقون بمعان جزئية او ألفاظ فردية لا تفهم الا من خلال السياق العام ، ثم اذا بهم يكيلون لى التهم والظنون .

وقد آلمنى أشد الألم ان يطعن في عرضى وأنا المسلم الغيور . ويعرف الكثيرون ان أول كتاب لى ألفته ، كان في ابراز ناحية من نواحي الاسلام المضيئة ، وهو « المرأة في الاسلام » .

وكان خيرا من هذا كله أن يفعلوا كما فعل بعضهم وله شكرى وتقديرى ، فنتجادل بالتى هى أحسن كما أمر القرآن . فان لى – على أسوأ الفروض – اجرا واحدا وهو أجر من اجتهد فأخطأ .

مرة أخرى غفر الله ما سببوه لى من الم ، راجيا اعتبار هذا البيان واضعا النقط على الحروف ومبينا غرضى من المقال الذى التبس على البعض . غير مقصر في خدمة قضايا العروبة والاسلام في حدود طاقتى وفهمى وسنى . والله الموفق .

عالمية الادب بقلم خميس سلمونة

عالمية الادب معناها خروجه من نطاق اللغة التى كتب بها الى ادب لغة او لغات اخرى . وهذه العالمية ظاهرة عامة بين الآداب في عصور معينة ويتطلبها الادب المتأثر في بعض العصور ، بسبب عوامل خاصة تدفعه الى الخروج من حدود قوميته نشدانا لما به فيغنى ويكمل ويساير ركب الادب العالمى .

ومن نتائج هذه العالمية : حدوث تغيير شامل في عالم الفكر والادب .

وعالمية الأدب ليس معناها أن الآداب العالمية حين يتم تجاوبها بعضها مع بعض لن تلبث ان تشترك جميعا في اجناسها الادبية واصولها الفنية وغاياتها الانسانية بحيث لا تبقى من حدود سوى حدود اللغة وما يمكن ان توحى به البيئة او الاقليم .. لان هذا قائم على أساس فكرة الادب العالمى وهو مستحيل التحقيق .. اذ ان الادب استجابة للحاجات الفكرية والاجتماعية للوطن وللقومية وموضوعه تغذية هذه الحاجات وهى محلية موضوعية أولا قد تشف عن غايات انسانية عامة ولكن من وراء التعبير عن المسائل والآمال والآلام القومية وما يتبع ذلك من المواقف النفسية .

فالآداب وطنية قومية أولا .. وخلود الآثار لا يتأتى من جهة عالمية دلالتها وانما يأتى من جهة صدقها وتعمقها الانسانى فيما هو من خصائصها

واصالتها الفنية والواقعية في صياغة آمالها والتعبير عن آلامها النفسية والاجتماعية المشتركة .

وعالمية الادب لها حدودها التي تقف عندها بطبيعتها واساسها اختيار الادب المتأثر من الآداب الاخرى على حسب حاجته ينشد في هذا الاختيار دوافع نهضته وتقدمه ٠٠ ليكمل المأثور من تراثه القومي الفني ويغنيه ٠

فيجب ان يكون الباعث الاول على هذا الاختيار هو الحرص على توفير عوامل النهوض للادب القومي لئلا يقف معزولا منطويا على نفسه متخلفا عن اداء رسالته ..

واصالة اللغة القومية وتقاليدها الموروثة وخصائصها الفنية في التعبير والصياغة .. كل هذه تقف بمثابة حراس امناء وموانع حصينة حتى لا ينحرف الاختيار عن غايته فتمحى الحدود القومية والخصائص الاصيلة اللغوية للادب المتأثر وهي التي يراد اغناؤها واكمالها بهذا الاختيار .

ولابد لهذا الاختيار والاقتباس من امناء قد تعمقوا في دراسة ادبهم وطوعوا لغتهم بالاطلاع الواعي والتحصيل الدائب .. وعلاقة الادب المتأثر بالادب الحاكي ليست علاقة التابع بالمتبوع ولا علاقة الخاضع المسود بسيده .. بل علاقة المهتدي بنماذج فنية او فكرية يطبعها بطابعه ويضفي عليها صبغة قومية وهذه هي الاصالة الحق .. وهي القدرة على الافادة من نطاق الافادة الخارجية عن نطاق الذات .. حتى يتسنى الارتقاء بالذات عن طريق تنمية امكانياتها ٠٠ ولا يستطيع امرؤ أن يصقل نفسه ولا أن يبلغ اقصى ما يتيسر له من كمال الا بجلاء ذهنه بافكار الآخرين والاخذ بالمفيد من آرائهم ودعواتهم .. وليس أدعى الى ابراز نفسية الانسان وشخصيته من أن يتأثر بآراء الآخرين فما الليث الا عدة خراف مهضومة ٠

فلنتركها تحتضر

احمد عطية ابو مطر

اما وقد تكشفت حقيقة المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، ووضحت ميولها الاستعمارية ومحاباتها للصهيونية ، ورفع القناع عن حقيقة مجلتها «حوار» التي تصدرها في بيروت ، أصبح من الواجب على كل اديب عربي أن يقف منها ومن مجلتها الموقف الايجابي الذي من شأنه أن يتركها تحتضر وحدها ٠٠ على كل اديب عربي أن يمتنع عن الكتابة لها حتى تبقى معزولة وحدها وتحتضر بنفسها ٠

لم يعد هذا الاتهام يوجه الى هذه المنظمة ومجلتها «حوار» مجرد اتهام يراد به النيل من الأدباء الذين يكتبون لها ، بل ثبت بالأدلة المادية التي قدمها الاستاذين « عباس خضر » و « عبده بدوي » على صفحات مجلة « الرسالة » ، أدلة مادية من واقع ما تكتبه هذه المجلة ٠٠ ادلة مادية تلوكها هذه المجلة لتهدم القيم العربية وتشكك في التراث العربي ٠

وليست هذه الأدلة المادية فقط بل ان الأدباء العرب السليمي النفوس الذين يضعون مصلحتهم العربية فوق كل مصلحة سحبوا أيديهم من هذه المجلة وهم كثيرون : الدكتورة سهير القلماوي والدكتور زكي نجيب محمود ٠٠ والأديبان صبري حافظ وصلاح عيسى ٠٠

والغريب كل الغرابة أن هذه الأدلة الواضحة التي قنع بها كل عربي غيور على قوميته ودينه لم يرض بها بعض الذين يتعاملون مع هذه المجلة وهذه الأدلة لا يرفضها الا كل جاحد لانسانيته وقوميته ومصلحة امته ، وقد أصبح من الضروري أن نقف من هذه المنظمة ومجلاتها موقفا ايجابيا تمليه علينا قوميتنا وديننا وغيرتنا على مصلحة أمتنا ٠٠ هذا الموقف هو أن يكف الأدباء العرب الذين لازالوا يتعاملون معها عن الكتابة فيها وليس في هذا « اهدار للفكر واغلاق للنوافذ » كما يزعم الدكتور « لويس عوض » ٠٠ والقراء العرب عليهم أيضا الامتناع عن قراءة وشراء هذه المجلة ٠٠ فبهذا نضمن لها الجمود ٠٠ ولا أسف عليها بعد أن وضحت خدمتها للاستعمار وميولها الصهيونية ٠

وتبقى كلمة أوجهها الى رئيس تحرير « حوار » السيد « توفيق صايغ » :

لا أدري ما الذي غطى على بصرك حتى يشغلك الى هذا الحد العمل في هذه المجلة ٠٠ ولو كان عملا عربيا سليما لا شائبة فيه لما لامك أحد ٠٠ وبينما أنت منشغل بهذه المجلة نسيت بل تناسيت مجالا كان لابد أن يوجه اليه قلم لاجئ مثلك ٠٠ مجال وطنك السليب ٠٠ كان لابد كما تحتمه عليك ظروفك أن تكتب عن وطني ووطنك الضائع ٠٠ كان لابد أن تعبر عن شعبي وشعبك اللاجئ الذي لا يزال يذوق آلام النكبة والتشريد ٠٠ ولكن يظهر للآن انك لم تحس بهذه الآلام التي لازال شعبي وشعبك اللاجئ يئن من وطأتها ٠

حكاية نظافة

قصة بقلم : محمد الخضرى عبد الحميد

الكل سواسية امام .. اشعة الشمس !

وعندما تنجاب ظلمات فضلة الليل ، مفسحة الطريق لتباشير الفجر الوليد الوضيء لتبدأ الشمس (الروم) ترسل اشعتها الى كل بنيها على وجه الارض .. تدب فى مناحى المدينة الصغيرة الهاجعة اول بوادر الحركة وبدايات النشاط المعتاد .. فتروح تسمع زقزقة العصافير ، وقعقعة فتية المخابز وهم يسرعون ، ركضا او سيرا بعرباتهم ودراجاتهم مرتعشى الاطراف متدارى الصدور اتقاء برودة الجو التى اعقبت بغتة - دون ما تمهيد - سخونة (الفرن) ! .. وتبدأ اصوات ، كلاكسات ، السيارات تتخذ مكانها بين (مقامات) اللحن الجماعى ، فلا تلبث بعد قلتها ان تتكاثر وتتعالى حتى ليكاد زعيقها يغطى على بقية ما يضج فى الشارع من بقية الأصوات !

.. هنالك فى طرف من المدينة نا، ، يكون (عبد المجيد) قد وقف انذاك على عتبة بيته الضئيل المتفرد عن بقية البيوت والأزقة والشوارع ، كأنه منبوذ عن العمران عمدا وحكمة ما ! ، ويبدأ عبد المجيد بما ،يرفل !، فيه من اطمار عجيبة يتثاءب ويتمطى وهو ، يبربش ، عينيه ، ثم يتمتم ناظـرا الى السماء بادعيات فطرية خاصة يستجلب بها (النهار النادى) ، و (الاستفتاح اللين) .. ثم لا يلبث ان يأتيه مساعداه ، ولا يكاد الثلاثة يتبادلون تحية الصباح المقتضبة حتى يبدأ على الفور : العمل !

وعبد المجيد اذا ماظهر فى الطريق الزراعى بحاشيته وادواته فان هناك جمعا من الأطفال - وليس يدرى من اين يأتون ! - سيكون ، حتما ، فى ركابه ! .. لا يكاد يبدو بعربته وبراميله حتى يأخذ اولئك الشياطين الصغار فى الصياح واطلاق الضحكات والتعالى (زفة) صاخبة وراء (الركب) البائس ، لا يردعهم زجر ولا يجدى معهم تأنيب ، ولا وعيد بأقسى تأديب !

ويبدو ان الرجل قد راض نفسه ، من طول معاناة التجربة ، على الاستسلام لذلك الوضع .. فلم تعد تهاليلهم ولا سخرياتهم العابثة بقادرة على أن تنتزع منه دلالة على اقل احتفال ! .. فقط كان - الى وقت قريب - يكتفى ببضع نظرات جانبية اعتباطية يصليهم بها ، مقدرا فى ظنه انها ستخيفهم وتجمد الدماء فى عروقهم .. الا ان العكس دائما هو الذى - فى كل مرة - يكون ! .. فما ان يلمحوا مثل تلك النظرات ، الكوميدية ! ، حتى يرتفع ضحكهم ، وتشتد حميتهم للمعابثة والهذر واحداث مزيد من الضجيج .. فلم يجد المسكين فى آخر التجربات المتباينة الا أن يبطل هذا (الاجراء !) ايضا .. فلم يعد يزجر طفلا ، او يؤنب بنتا او ولدا .

وفى ذلك الصباح ، سار عبد المجيد بعربته (اليد) الصغيرة ، وعليها البراميل الثلاثة، والمساعدان من ورائه .. ماضيا الى مزاولة عمله القريب .. منهمكا فيه بشكله الاكثر غرابة ... !

وعبد المجيد هيكل نحيل ، اعجف البدن معروق البشرة ، معتم السمرة ، ذو انف ضخم وشفاه اكثر ضخامة .. يرتدى سروالا فضفاضا خلقا ، وفوق الجلد مباشرة سترة صفراء حائلة من مخلفات الجيش .. وعلى رأسه (شيء !) طويل مقرطح احمر مبروم .. كان طربوشا منذ (قرن !) على التقدير الأقل ! .. فليس لطربوشه اى (زر) ولا زوايا ولا حدود ، ان هو الا لبدة صوفية حمراء (مكعبرة) كيفما اتفق ، تنتهى عند فروة الرأس بسوار (صديدى !) من العرق والزيت والوحل .

اما عمله فنستطيع - بقليل من مساعدة الكلم الوقور - القول بانه : تطهير البيوت الشعبية من المخلفات البشرية ! ..

ولهذا فلا عجب ولا دهش اذا رأيته مشمرا عن ساعديه وساقيه وقد تلطخ من الفرع الى القدم ، فى الأوحال والأوساخ ، وراح يدفع امامه عربة اليد ، ويعدل من وضع البراميل التى عليها والتى تمتلئ بما تقشعر لرائحته الأنوف ... !

ولعبد المجيد ، وكلاء ومراسلون ! ، فى شتى القرى والضواحى المجاورة ، يبعثون فى طلبه كلما شكا منزل لديهم من تغير (رائحة الجو !) فيه ! .. اما فى المدينة فله معاونان - حسانين وشحاتة - يرتديان الهلاهيل المعجونة فى الوحل المتعفن .. ومهمتهما ملء البراميل فى بدء (العملية) ، ثم رعايتها على عربة اليد التى يقودها هو امامهم بوصفه كبيرهم .. فاذا اشرف هذا الموكب على رأس حقل للقصب او الذرة .. اخذوا يفرغون محتويات براميلهم فى جرادل صغيرة الى تلك الزروعات ! ..

وانك اذا رأيته وهو يشرف على تسيير دفة عملية التفريغ تلك .. فانك توقن انها ليست بالعمل الهين .. بل اغلب الظن انه قد يخيل اليك ان فيها - مع ذلك - شيئا من الـ ... الفن ! !

- ، ياحسانين ابعد عن السكة العمومى ! .. يا شحاته ادلق الجردل فى الناحية

القبلية ! .. راعوا تيار الهوا يا جماعة اعملوا معروف ! .. يا حسانين انت وشحاتة نتنظر لحظة ، واحد افندى فايت مع واحدة ست هانم الظاهر انها امراته ! .. لا لا .. البرميل الكبير بتوزع هناك فى ناحية البرور الشراقى هناك ! » .

وعلى نفس النسق الرتيب المعهود كان يجرى عمل عبد المجيد وشريكيه صبيحة ذلك اليوم .

وفجاة بهر القوم منظر مشرق فريد .

صبى صغير ، جميل الطلعة .. اقبل مهرولا ، وفى يده حقيبة كتب جلدية لميئة .. يرتدى ثيابا غاية فى الاناقة واللمعان والنظافة .. ما ان اقترب من البركة الشنيعة التى عسكرت على حوافيها العربة برجالها وعتادها ، حتى صاح فى مرح لطيف وبلثغة طفلية جميلة عذبة الصدى :

ـ « بابا .. بابا .. ناولنى القرش » .

ـ « اه ... القرش ! » .

ـ « نعم ، القرش ! .. انت يابابا الظاهر نسيته » !

وهنا اشرقت على محيا (عبد المجيد ابتسامة حانية سعيدة ، وكادت لرقتها وطلاوتها تكسبه ـ على الرغم مما حوله من نتن اريجا عطرا !

وصاح بولده فى تهريج ابوى طريف وهو ينصب قامته ويدعك مرفقيه لازالة ما تراكم بن القذارة :

ـ « يا مرحبا ، يا مرحبا ! .. اهلا بالاستاذ ! .. صباحنا فل ! .. نهارنا نادى باذن واحد احد ! .. لامؤاخذة يا حبيبى الاستاذ ، اصل طلعت بدرى .. اسمع .. « سد مناخيرك وخطوة للامام .. مارش » !

وقهقه بنشوة عاليا ...

ومن الطبيعى جدا أن يسد الصبى الرقيق النظيف انفه ليتجنب اعصار الرائحة النتنة شديدة التعفن .. لكن .

لكنه لم يفعل هذا ..

انه تقدم فى بساطة وثبات ليتناول من جيب ابيه (القرش) الذى اعده له ، واشار اليه حيث ينتظره فى الجيب .. واخذ « الاستاذ » الصغير قرشه ، ثم رفع ذراعه البضة الصغيرة فوق راسه محييا اباه وزميليه فى الفة وود .. وانقلب يرتقى الجسر لينطلق عائدا فى عجلة لكى يلحق بمدرسته .

هنالك كانت عينا الاب قد تسمرتا هائمتين عبر الافق تودعان الصبى بنظرة طويلة ، جد طويلة ، حالمة ، تائهة ، حانية !

ثم تنبه الى نفسه على اثر القائه من شحاتة فاعتذر بذهول عن سرحته وعاد ـ اليا ـ الى ما كان فيه من مشاركة واصدار تعليمات واوامر ! :

وانتهت العملية .. وتاهبت القافلة للعودة

فاخذت العربة طريقها ببراميلها وجرادلها والشاة من خلفها وامامها الى طرف المدينة ، تحف بها الصيحات من اولئك الشياطين الصغار الذين تنشق عنهم الارض فجاة فلا يدرى واحد من الثلاثة من اين ـ بكل تلك الكثرة ـ ينبثقون ! ، وكل من يلمح الركب عن كثب يفر بعيدا .. او يضع على انفه منديلا .. او ينقلب يجرى بسرعة مرتدا من حيث جاء ليتفادى تلك الرائحة الكريهة الثقالة .. !

وفى مكان ما قصى من اطراف تلك المدينة الصغيرة .. اتجه (عبد المجيد) الى الحجرة الارضية الواحدة التى يسكنها مع زوجه وولده الوحيد ويسميها : بيتا ! .. وما هو الا ان دلف الى (البيت) حتى كانت ـ كالمعتاد ـ فى انتظاره (حلة) ماء ساخن ، انشا يريقها على جسده ، ثم غير ملابسه بجلباب نظيف .. ثم ـ وعلى ذات النهج كما فى كل مرة ـ راح يثرثر قليلا مع امراته ! .. ومعظم ثرثراته مع زوجه ، او مع غيرها من الناس يكون محورها شىء واحد ثابت مركزى لا يتبدل .. انه (الاستاذ !) وحده موضوع كل حديث له مستفيض..و (الاستاذ) ـ كما يسميه ـ هو نجله الصغير .. الذى يحبوه باقوى عاطفة ابوية بارة متطرفة :

ـ « هه .. اليوم احب ان تجهزى لقمة مغذية للاستاذ ! .. تصدقى بالله ؟ .. انا لما اصطبحت فى الصبح بوجهه السمح كان فعلا نهارنا فل ! .. ربنا رزقنا وطلع الزبون (كريم ، وابن حلال) .. تصورى باولية ، بدلا من ان يعطينا (١٥ قرشا) او حتى (ريالا) ، اللى نفسى استحق : ربع جنيه ! .. خمسة وعشرين قرشا (صاحية) ! .. قومى ! .. قومى هاتى اربع بيضات ، واوقية سمن ، واقة عيش ، وبقرشين شاى وسكر» !

وقامت المراة لتلتف فى ملاءتها السوداء استعدادا للخروج .. فاذا به يستوقفها فجاة منقضا عليها كصاعقة داهمة ، ناشبا فيها ـ بجماع قبضته ـ اصابعه الخشنة الطويلة ، مشددا الضغط بكل قوته على ذراعيها وهو يهزها بشدة صارخا فيها ، حانقا غاضبا هائجا :

ـ ما ... هذا ؟! انظرى ! .. هكذا ؟ .. انظرى ماهذا الذى على مكتب الاستاذ !

« واشار فى سورة غضبه الراعد الى منضدة صغيرة بسيطة فى الركن مخصصة لابنه يذاكر ويكتب دروسه عليها » !

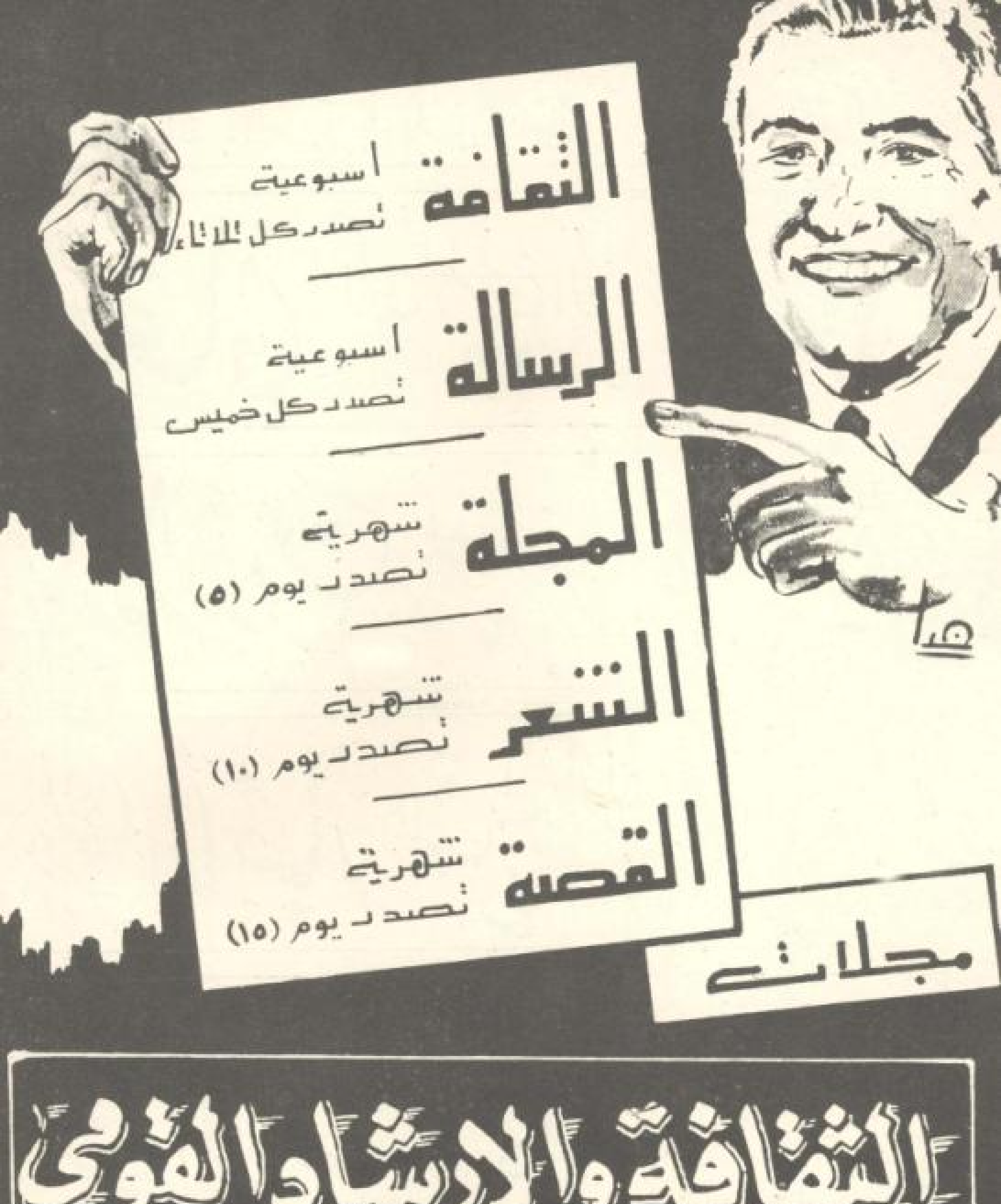
والجم لسان المراة .. وانفغر فوها ، ووقفت متحاملة مرتعبة تنتفض ذعرا وجزعا وهى تنظر فى هلع الى حيث اشار ، حيث كان على المنضدة شىء من « مصاص القصب » ملقى على المنضدة وكراريسها التى فوقها وقد تجمع عليه بعض الذباب .. !

ولم تحر ـ من شدة ذعرها لما ينتظرها ـ جوابا ...

لكنه اخذ يلح فى لكز كتفيها بعنف وهو يهدر محمر العينين ثائرا فى حنق هائل ، صاخب ، عارم :

ـ هكذا ! .. حضرتك تريدين ان يعود الاستاذ ليلقى هذه القذارة فى انتظاره ؟! .. فى استقباله ؟ .. واين ؟ .. على مكتبه ؟! ما معناها هذه يا ايتها المراة ؟ .. اليست « وساخة حريم » ؟! ... اليست « عفونة نساوين » ؟ ! .. طيب ! .. والله لازم « اخرشم » بوزك واكسر لك دماغك الناشفة هذه ما دمت لا تريدين ان تتعلمى النظافة » !

محمد الخضرى عبد الحميد



الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٧٤

الثمن ٣